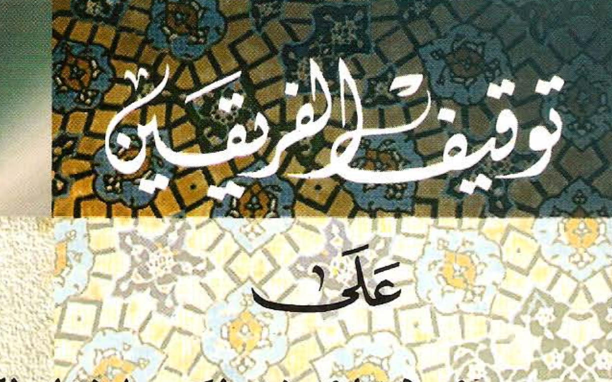


توقيف الفريقين

على

خلود أهل الدارين

للإمام العلامة

مرعي بن يوسف الحنبلي

(ت ١٠٣٣ هـ)

ومقدمة عن

براءة شيخ الإسلام وتلميذه عن القول بفناء النار

تقديم

شيخنا العلامة فضيلة الوالد

عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين

حفظه الله

تحقيق وتعليق

خليل بن عثمان الجبور السبيعي



دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

توقيف الفريقين

على

خلود أهل الدارين

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

توقيف الفريقين
على
خلود أهل الدارين

للإمام العلامة
مرعي بن يوسف الحنبلي
(ت ١٠٣٣هـ)

ومقدمة عن
براءة شيخ الإسلام وتلميذه عن القول بفناء النار

تقديم
شيخنا العلامة فضيلة الوالد
عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين
حفظه الله

تحقيق وتعليق
خليل بن عثمان الجبور السبيعي

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلقنا لعبادته وأمرنا بتوحيده وطاعته وهدى أولياءه فتقبلوا شرعه وأمره وتقربوا إليه بالتوحيد والإخلاص فوعدهم بالنعيم في دار كرامته وخذل أعداءه فكفروا به فتوعدهم بعذابه وأليم عقابه أحمده سبحانه وأشكره وأثني عليه وأستغفره وأسأله أن يدخلنا الجنة وأن يعيذنا من عذاب الجحيم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين

أما بعد فقد قرأت هذه الرسالة ومقدمتها التي كتبها أخونا الشيخ خليل الجبور السبيعي ولقد أجاد الكاتب وأفاد وحصل على المراد وبذل جهداً كبيراً في البحث في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى وأورد من النقول والمقالات الصريحة التي لا يشك معها السامع أن الشيخين أنهما كأهل السنة والجماعة في القول ببقاء الدارين الجنة والنار وعدم فنائهما كما صرح الله تعالى في كتابه بالخلود والدوام والأبدية لهما فقد ورد في القرآن قوله تعالى (خالدين فيها أبدا) في أحد عشر موضعاً منها ثلاثة مواضع في خلود أهل النار فيها ومعلوم أن التأبيد في الأصل يدل على الدوام إلى غير نهاية

فقد تبين من هذه النقول أن من عزى إلى الشيخين رحمهما الله تعالى القول بفناء النار وانقطاع العذاب فقد تخرص وتكلم فيها بغير علم فإن مؤلفاتهما متوفرة بأيدي الناس وهي متناول الأيدي وقد اشتملت على أنواع من علوم العقيدة ومن ذلك التصريح بدوام النعيم والعذاب في الآخرة دون الإشارة إلى فناء النار أو الميل إليه وأما كلام ابن القيم في حادي الأرواح فإنما هو حكاية للقولين وسرد للحجج من الطائفتين دون التصريح باختيار الفناء والانقطاع فهو يشبه كلامه في أول الكتاب عن الجنة التي أسكنها آدم وما فيها من الخلاف وقد أحسن الكاتب وفقه الله فيما نقله في هذه الرسالة من الأدلة الواضحة وفي تحقيقه لرسالة الشيخ مرعي رحمه الله تعالى حيث خرج الأحاديث ورقم الآيات وعزى النقول لمواضعها فكفى وشفى وحبذا لو توج المقدمة بسرد الآيات الدالة على الدوام والأحاديث الواردة في ذلك وما قاله أهل السنة وسلف الأمة في عقائدهم المشهورة المتداولة بين المسلمين ولكن ذلك واضح بحمد الله لمن طلبه ووجده والله أعلم وأحكم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

كتبه عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

٢/١٢/١٤١٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلقنا لعبادته وأمرنا بتوحيده وطاعته، وهدى أولياءه فتقبلوا شرعه وأمره، وتقربوا إليه بالتوحيد والإخلاص؛ فوعدهم بالنعيم في دار كرامته، وخذل أعداءه فكفروا به؛ فتوعدهم بعذابه وأليم عقابه، أحمده سبحانه وأشكره وأثني عليه وأستغفره، وأسأله أن يدخلنا الجنة وأن يعيذنا من عذاب الجحيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد، فقد قرأت هذه الرسالة ومقدمتها التي كتبها أخونا الشيخ خليل الجبور السبيعي، ولقد أجاد الكاتب وأفاد، وحصل على المراد، وبذل جهداً كبيراً في البحث في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى، وأورد من النقول والمقالات الصريحة التي لا يتطرق معها الشك عن الشيخين أنهما كأهل السنة والجماعة في القول ببقاء الدارين: الجنة والنار وعدم فنائهما، كما صرح الله تعالى في كتابه بالخلود والدوام والأبدية لهما، فقد ورد في القرآن قوله تعالى: ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا** ﴾ [البينة: ٨] في أحد عشر موضعًا، منها ثلاثة مواضع في خلود أهل النار فيها، ومعلوم أن التأبيد في الأصل يدل على الدوام إلى غير نهاية.

فقد تبين من هذه النقول أن من عزى إلى الشيخين رحمهما الله تعالى القول بفناء النار وانقطاع العذاب فقد تخرص وتكلم فيهما بغير علم، فإن مؤلفاتهما متوفرة بأيدي الناس وفي متناول الأيدي، وقد اشتملت على أنواع من علوم العقيدة، ومن ذلك التصريح بدوام النعيم والعذاب في الآخرة دون الإشارة إلى

فناء النار أو الميل إليه .

وأما كلام ابن القيم في حادي الأرواح ، فإنما هو حكاية للقولين وسرد للحجج من الطائفتين دون تصريح باختيار الفناء والانقطاع ، فهو مثل كلامه في أول الكتاب عن الجنة التي أسكنها آدم وما فيها من الخلاف .

وقد أحسن الكاتب وفقه الله فيما نقله في هذه الرسالة من الأدلة الواضحة وفي تحقيقه لرسالة الشيخ مرعي رحمه الله تعالى ؛ حيث خرج الأحاديث ورقّم الآيات وعزى النقول إلى مواضعها فكفى وشفى ، وحبذا لو توّج المقدمة بسرد الآيات الدالة على الدوام والأحاديث الواردة في ذلك ، وما قاله أهل السنة وسلف الأمة في عقائدهم المشهورة المتداولة بين المسلمين ولكن ذلك واضح بحمد الله ، فمن طلبه وجده ، والله أعلم وأحكم .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

كتبه عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

٣ / ١٢ / ١٤١٧هـ





مقدمة

الحمد لله الذي جعل في كلِّ زمانٍ فترة من الرسل بقايا من أهل العلم؛ يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يُحْيُون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍ تائه قد هدوه.

فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم.

ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم.

ويتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتنة المضلين (١).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، نبيه المجتبى، ورسوله المصطفى، ترك

---

(١) هذه الخطبة اقتباس من خطبة الإمام أحمد رحمه الله تعالى، في افتتاحه لـ الرد على الزنادقة والجهمية وقد طبع مراراً.
وهذا الكتاب ألّفه الإمام أحمد رحمه الله في (سجنه . . !) كما بيّن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، في منهاج السنة (٣/ ٦٩ ط بولاق، و٥/ ٢٧٣ ـ المحقق) وهذه فائدة عزيزة، وذكرها ابن القيم في أعلام الموقعين (١/ ٩)، واجتماع الجيوش (ص٨١)، وابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص٣)، وغيرهم.



الناس على المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك؛ مبشراً ونذيراً، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيراً.

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين وسلّم تسليمًا...

أما بعد:

فإن الله جل وعلا أمرنا بالتثبت، حال نقل الأخبار، وعدم نقل الكلام جزافًا، دون تمحيص أو تبيين؛ في الكلام المجرّد، فضلاً عن تلقي الأخبار والرواية والعمل بها، ناهيك إذا كان أمراً جَلَلاً في أصول الدين، فإن الكلام حينئذ أشد وأخطر، صيانة للدين، ورعاية لحرمات علماء المسلمين.

والأصل في هذا:

قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ [الحجرات: ٦].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: «يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق، ليحتاط له، لئلا يحكم بقوله، فيكون في نفس الأمر كاذبًا أو مخطئًا، فيكون الحاكم بقوله، قد اقتفى وراءه، وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبيل المفسدين، ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال، لاحتمال فسقه في نفس الأمر»[1].

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله تعالى: «وقد دلت هذه الآية من سورة الحجرات على أمرين:

---

(١) تفسير القرآن العظيم/ للحافظ ابن كثير رحمه الله (٤/ ٢٢٣ ط أولى عام ١٣٨٨هـ =

الأول منهما: أن الفاسق إن جاء بنبأ ممكن معرفة حقيقته، وهل ما قاله فيه الفاسق حق أو كذب، فإنه يجب فيه التثبت.

والثاني: وهو ما استدل عليه بها أهل الأصول من قبول خبر العدل؛ لأن قوله تعالى: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ يدل بدليل خطابه، أعني مفهوم مخالفته أن الجائي بنبأ إن كان غير فاسق بل عدلاً لا يلزم التبين في نبئه، على قراءة: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾، ولا على التثبت على قراءة: ﴿فتثبتوا﴾، وهو كذلك». اهـ[1].

وفي هذا الزمان والذي كثر فيه القيل والقال، وحدثني الثقة، ومن لا أتهم.. !!! وحدثني من لا يتطرق إلى حاله وكلامه السؤال... !!؟

بعبارات فجة، سَمْجة، تمجها الأسماع، وتنفر منها كلُّ فطرةٍ سليمة الطباع - في بعض المجالس -.

حليةً وشعاراً لها، من تبديع للأئمة! وتجهيل..! وتجريح... ! وتعديل... وتصنيف... لمن..؟

للعلماء المتقدمين منهم والمتأخرين، والذين بذلوا النفس والنفيس لهذا الدين..؟ بل اتسع الخرق على الراقع.. وزاد الطين بلّة؛ من أنّه لا يجوز القراءة، فضلاً عن البيع.. فضلاً عن الترحم - لكتب السلف: الفتح، والقرطبي، والنووي على صحيح مسلم. .لم ذلك كله...؟

أهو داءٌ دفين... أخرجته الأيام والليالي...؟؛ نفثاتٍ من صدورٍ

= النهضة).

(١) أضواء البيان (٧/ ٦٢٧).

أعجمية. . . حاقدة. . . ملأ الجهل عقولهم، والحقد صدورهم. . . فلم يجدوا متنفساً إلا الطعن في أئمتنا وعلمائنا، بدعوى - وكذبوا - التحذير من البدع وأهلها.

وهل تلك الفقاعات إلا حُلُم يقظة، أو حُبٌّ في التصدر قبل التأهل، أو تنمرٌ بالعلم، تنمر المفلسين المبلسين! فتنكشف سوءة ذاك الجاهل قبل أن يقوم من مقامه..!

أو التشغيب والفرح بالتنقص - للوهم أو الخطأ ممن سبق - وهو سمتُ المتعالمين..

أو مرض الجدال العقيم. . السقيم. . الذي ألفاظه وحججه أوْهى من بيت العنكبوت، تندراً في المجالس وحبًا في الظهور[1].

ألا وإن المسلم: من سلم المسلمون من لسانه ويده[2].

أما تأدبوا قبل أن يتعلموا. . .

أما لهم في الكتاب والسنة. . . ومنهج الأئمة الأعلام الهداة كفاية؟!

أما قرأوا قوله تعالى: ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [ق: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿ **ولا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ [الإسراء: ٣٦].

---

(١) انظر: حلية طالب العلم للشيخ بكر أبو زيد - حفظه الله - (ص٧٩ - محاذير طالب العلم).

(٢) عليك بكتاب آداب الصمت وحفظ اللسان لابن أبي الدنيا بتحقيق نجم خلف، متّع به ناظريك، ففيه تهذيب للألسن، والأنفس.

يقول العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى في تأويل الآية الأولى من سورة «ق»: ﴿مَا يَلْفِظُ﴾: أي ابن آدم ما يتكلم بكلمة إلا ولها من يرقبها، معدٌ لذلك يكتبها، لا يترك كلمةً.. ولا حركةً، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

وروى الإمام أحمد في مسنده - وساق الحافظ سنده - من حديث بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عزّ وجلّ له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم القيامة**».

فكان علقمة يقول: كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث[1]!!

ورواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن صحيح، وله شاهد في الصحيح[2].

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: «يابن آدم بُسطَت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك: فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك: فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئتَ! أقْلِلْ أو أكْثِر.

حتى إذا متَ طويت صحيفتك، وجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

---

(١) أين نحن من هذا الحديث.. ومن تلك الكلمة العظيمة..؟! الله المستعان.

(٢) والحديث صحيح، وانظر لبسط تخريجه: السلسلة الصحيحة (رقم ٨٨٨).



كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ⑬ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ . [الإسراء : ١٣، ١٤].

ثم قال الحسن ـ رحمه الله ـ : عَدَلَ والله فِيْكَ من جَعَلَك حَسِيْبَ نفسك .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : يكتب ـ الْمَلَك ـ كل ما تكلم به ، من خير أو شرٍّ ، حتى إنه ليكتب قوله : أكلتُ وشربتُ ، ذهبتُ وجئتُ ، رأيت . اهـ[1] .

هل علمت هذا . . . ـ رعاك الله ـ إذًا ما بقي إلا العمل .

وما أروع ما سطّره الشيخ بكر ـ حفظه الله ـ بيمينه ـ لا شُلتْ يمينه ، حيث يقول :

«فيا طالب العلم ! بارك الله فيك وفي علمك ، اطلب العلم ، واطلب العمل ، وادع إلى الله تعالى على طريقةِ السلف .

ولا تكن خرّاجًا ولاجًا في الجماعات ، فتخرج من السعة إلى القوالب الضيقة ؛ فالإسلام كله لك جادةً ومنهجًا ، والمسلمون جميعهم هم الجماعة ، وإن يد الله مع الجماعة ـ إلى أن قال ـ :

فكن طالب علم على الجادة ، تقفو الأثر ، وتتبع السنن ، تدعو إلى الله على بصيرة ، عارفًا لأهل الفضلِ فضلهم وسابقتهم»[2] .

وانظر إلى كلمة الحافظ ابن عساكر ـ رحمه الله ـ حيث يقول : «واعلم يا أخي ـ وفقنا الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته ـ أن لحوم العلماء ـ

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٤٠).
(٢) الحلية (ص٨٤).

رحمة الله عليهم ـ مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومةٌ؛ لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتعٌ وخيمٌ، والاختلاق على من اختاره الله منهم لنَعَشِ العلم خُلُقٌ ذميم؛ والاقتداء بما مدح الله به قول المتبعين من الاستغفار لمن سبقهم وصف كريم: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ [الحشر: ١٠].

والارتكاب لنهي النبي ﷺ عن الاغتياب، وسب الأموات جسيم، ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣].

اهـ[1].

وما أشبه الليلة بالبارحة، حيث شكى أبو حاتم بن حبان رحمه الله من أولئك، حيث يقول: «إن الناس يعملون على دفن الخير، ونشر الشر، يدفنون الحسنة، ويظهرون السيئة؛ فإن كان المرء عالمًا بَدَّعوه، وإن كان جاهلاً عيّروه، وإن كان فوقهم حسدوه، وإن كان دونهم حقروه؛ وإن نطق قالوا: مهذار!، وإن سكت قالوا: عَيِيٌّ، وإن قدر قالوا: مُقَتِّر، وإن سمح قالوا: مبذر.

فالنادم في العواقب، المحطوط عن المراتب، من اغتر بقوم هذا نعتهم، وغرّه

(١) تبيين كذب المفتري (ص٢٩ ط دار الفكر ١٣٩٩هـ). وهذا الكتاب فيه تعليقات جهمية، وطعن على السلف، ونوة للباطل وأهله، ولم الغرابة..؟ والمعلّق هو: الكوثري؟!

* فائدة: قد أبطل نسبة هذا الكتاب؛ وأنه ليس لابن عساكر، الشيخ عبد القادر السندي في كتابه التصوف (ص٢٥٥) فانظره ـ غير مأمور ـ فإنه جيّد للغاية.



ناس هذه صفتهم»(١) .

وإن أردت المزيد فانظر إلى ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم - عليهم الرحمة والرضوان - في جل مصنفاتهم .

وكذا «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي رحمه الله.

و«جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر رحمه الله .

* ألا وإن مفارقة التوسط في القول في كل شيء منهي عنه ، بصريح الكتاب : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وأسوأ القول الإفراط ، ولكل شيء طرفان ووسط ، ففي طرفه الأول شعبة من التقصير ، ومع الأخير بعض الإفراط ، وخير كل شيء - قولاً وفعلاً وغيرهما - وسطه .

* ألا وإن مما شاع بين بعض طلبة العلم ومن فوقهم نسبة القول إلى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، وتلميذه ابن القيم رحمه الله تعالى .

نسبوا إليهم القول بفناء النار - نار الكفار - والذين هم خالدون مخلدون فيها بصريح الكتاب والسنة ، وإجماع الأئمة .

وليس هذا فحسب . . . ! بل أضافوا : ثالثة الأثافي !

أنهم بعد حين يدخلون جنات تجري من تحتها الأنهار . . ! ! بل تجرؤوا ونالوا منهما - عليهم رحمة الله - بالطعن . . !

---

(١) روضة العقلاء (ص٦٧ ط الحلبية ١٣٧٤هـ) ، وانظر : قواعد في التعامل مع العلماء تأليف : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، وتقديم سماحة المفتي - حفظه الله - فهو نفيس للغاية .

وأنهم وقعوا في بدع كانوا يُحذرون الناس منها، وأنه قد شاع ذاك وذاع، وتناقلته ـ تواترًا ـ الأسماع . . !؛ وأن العلماء ـ كذا ظنوا، والظن أكذب الحديث ـ ألفوا ردودًا عليهم، من يا ترى . . . ؟!

* السبكي علي بن عبد الكافي (ت٧٥٦هـ) لا يُحفل به ولا برده، وسيأتي تفصيل ذلك ـ برسالة عنوانها: «الاعتبار ببقاء الجنة والنار»، وقد طبع عام ١٣٤٧هـ.

* الصنعاني في «رفع الأستار» وقد طبع.

* والشوكاني في «كشف الأستار» مخطوط ـ عليهم رحمة الله ـ.

وسيأتي مزيد تفصيل عن هذين، أساءوا سمعًا فأساءوا إجابة، وغيرها من حجج سيأتي تفنيدها، والبيان بالدليل والبرهان ما ينفي ما نُسب وأشيع عنهما، وأنها كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء . . !

* * *



خطة البحث

أولاً: مقدمة حول احترام العلماء، والتحذير من سوء الظن بهم وبغيرهم، والتثبت من نقل الأخبار.

الباب الأول: وفيه فصول:

الفصل الأول: بين يدي هذه الرسالة.

الفصل الثاني: أساس هذه الفرية.

الفصل الثالث: سياق ما ظنوه حجة لهم والرد عليه.

الفصل الرابع: ذكر أدلة صريحة من كلام شيخ الإسلام ببقاء النار.

الفصل الخامس: ذكر أدلة صريحة من كلام ابن القيم ببقاء النار.

الباب الثاني: وفيه النص المحقق، واشتمل على:

١ ـ ترجمة المؤلف: اسمه ونسبه، ومولده، ومذهبه وعقيدته، وشيوخه، ومصنفاته، ووفاته.

٢ ـ وصف النسخة.

٣ ـ توثيق الرسالة.

٤ ـ منهج التحقيق.

٥ ـ النص والتعليق عليه.

٦ ـ الخاتمة.

٧ ـ الفهارس.



الفصل الأول

أصل هذه الرسالة

في دار شيخنا العلامة عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين ـ حفظه الله ـ بالرياض عام ١٤٠٤هـ، وأثناء حضورنا لدرسه الأسبوعي، في العقيدة والفقه، سأل أحد الإخوة، عن مدى صحة نسبة القول عن شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم ـ عليهم الرحمة والرضوان ـ بفناء النار، فأجاب شيخنا بما أجاب به ـ حفظه الله ـ.

ثم تكفلت بالبحث عنها ـ على عُجَري وبُجَري ـ[١]، فخلصت بعد ذلك إلى أن نسبة القول إليهما غير صحيح إطلاقًا؛ بل يُبَدِّعون من قال بفناء النار، وأنه ضال.. ومخالف للأمة سلفًا وخلفًا...

وكنت قد عزمت على نشرها بين طلبة العلم للفائدة، وفي تلك الأثناء، أطلعني أحد الإخوة ـ جزاه الله خيراً ـ على رسالة للشيخ العلامة: مرعي الحنبلي ـ رحمه الله ـ بعنوان: «توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين»[٢]، فإذا هي طِلْبتي وغايتي.

---

(١) هذه مقولة: لعلي رضي الله عنه، قالها حينما قتل طلحة بن عبيد الله ـ رضي الله عنه ـ في وقعة الجمل، وانظر: النهاية/ ابن الأثير (١/ ٩٦، ٣/ ١٨٥)، الفائق / للزمخشري (١/ ١٩٦)، لسان العرب (٤/ ٥٤٢)، والبداية والنهاية (٧/ ٢٦٩ ـ ط السعادة ١٣٥١هـ)، وفيه كلام نفيس للغاية.

(٢) طبعت هذه الرسالة ـ بتحقيق الراقم ـ عام ١٤١١هـ، وسحبت بطريقة الأوفست عام ١٤١٢هـ ـ وفيها ما فيها ـ وأعيدُ طباعتها هذه المرة بزيادات وفوائد.



فأشار عليّ ممن إشارته حُكْم، وطاعته غُنْمٌ، أن يكون ما توصلت إليه من أدلة تبرئ الشيخين مما نُسبَ إليهما مَقدمة لهذه الرسالة؛ ففعلت طائعًا راغبًا . . .

ثم إن هذا البحث استُلَّ - ولا أقول سرق - دون علم، أو إذن .

وتنمر صاحبه، وتشبع بما لم يعط، بدعوى عريضة بنى عليها قصورًا وعلالي!!

وأنه كتب في نصرة الشيخين - ولم يسبقه سابق - ! بحثًا فريدًا، أتى بعد جهد جاهد - كذا زعم - ولم ولن يترك لمن بعده مقالاً . . . !!

فقاعات نفخها بتعالمٍ وتبجحٍ . . !!

ومن بركة العلم عزوه إلى أهله - ولم يفعل ذلك - فإلى الله المشتكى وهو وحده المستعان .

وكشف عورة هذا وغيره من المفلسين يطول، ويفوت ما هو أهم، ولعل في الأمة من يقوم بردعهم، وبيان حالهم، حتى يعلموا أنهم ليسوا على الجادة، فينيبوا ويرجعوا إلى الحق - حُسبة لله، وانتصارًا لدينه - .

وانظر: كلامًا نفيسًا للغاية في كتاب: «أخطار على المراجع العلمية لأئمة السلف»، للشيخ عثمان بن عبد القادر الصافي - وفقه الله - .

❋ ❋ ❋



الفصل الثاني
أساس هذه الفرية والرد عليها

المبتدعة في كل زمان، وأي مكان، يفرحون بما يؤيد بدعتهم، ويحتفلون بما يَطْعَن في سلف الأمة ـ عليهم الرحمة والرضوان ـ يتعلقون بذلك، حتى وإن كان ما تعلقوا به أوْهى من بيت العنكبوت؛ طمعًا في تكثير الحجج، وتأييد الطعن في سلف الأمة، وصالحيها، مع أنها حَال المحاققة كسراب بقيعة.

وتكثيرًا لسواد أهلها، ـ لا أكثرهم الله ـ وأنهم هم أهل السنة والجماعة ـ وحاشا ـ ! والذابون عن حياض العقيدة!

لذا كان النيل من شيخ الإسلام وتلميذه ـ رحمة الله عليهما ـ من عقيدتهم ـ في مسألة بقاء النار ـ مدخلاً للحاقدين، أصحاب الداء الدفين، دعاة التمشعر، والتجهم.. ومن نحا نحوهم، من هذا الباب والمنطلق وأنهم وقعوا في بدعة عظيمة ـ كذا قالوا ـ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا.

ورأيت أن ما استدلوا به: عليهم لا لهم، وأن ما ظنوه لهم ـ هو منقلب عليهم.

وجملة ما تمسكوا، أو استدلوا به ـ حسبما أعلم ـ ما يلي:

❁ ❁ ❁

الفصل الثالث

أولاً: رسالة بعنوان: «الاعتبار ببقاء الجنة والنار».

لعلي بن عبد الكافي السبكي الكبير (ت٧٥٦هـ)[(١)]، وقد طبعت عام ١٣٤٧هـ ـ القدسي، في أربعين ورقة[(٢)]، بتعليق: الكوثري الجهمي.

أما عقيدته ـ السبكي ـ في توحيد الألوهية، والأسماء والصفات فلا يخفى، وانظر: «الصارم المنكي في الرد على السبكي» لابن عبد الهادي ـ رحمه الله ـ.

وقد طار فرحًا ـ الكوثري الجهمي، بهذ الرسالة، وبنى حولهاقصورًا وعلالي.

ونال من شيخ الإسلام وتلميذه ـ رحمة الله عليهما ـ بالتبديع والتضليل، بل والتكفير؛ كما في مقالاته (ص٣٦٥) وكما في مقدمته لهذه الرسالة.

وهذه الرسالة: لم ينسب السبكي القول بفناء النار إلى الشيخين أو أحدهما، بل غاية ما قاله، وصريح عبارته: «وقفنا على تصنيف لبعض أهل العصر في فنائها... إلخ».

---

(١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى (١٠/ ١٣٩ ـ ٣٣٨)، وذكر المحقق مصادر أخرى لترجمته، وذكرها ابنه (ص٣٠٩/ ١٠)، والإشارات / لمشهور آل سلمان (ص١٣٩/ رقم ٨٠١) وهو مفيد.

(٢) وإني لأشكر الأخ الفاضل، الشيخ يوسف العتيق، على إهدائه لنا هذه الرسالة، فجزاه الله خيرًا.



إن كان يقصد شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ فلا ؛ لأن له رسالة في بقاء الجنة والنار وعدم فنائهما ـ وسيأتي التفصيل .

ولا إخاله ـ يعني ابن القيم رحمه الله ـ ؛ لأن كل من ترجم له ، لم يذكر رسالة له بهذا العنوان . أوَ تَظنُّ أن السبكي يسكت عن : التصريح باسم شيخ الإسلام أو تلميذه ، خصوصاً في هذه المسألة العقدية المهمة ؟ ! لا أظن ولا أنت ذلك[1] .

فسقط هذا الدليل وتداعى ، فليس فيه مدخل لأهل البدع أو غيرهم ، نيل من الشيخين ـ رحمة الله عليهما ـ وما أحسن الوضوح ، ومقارعة الحجة بالحجة ، لا بالظنية ، ولا بالتهمة ، فضلاً عن سلاطة اللسان ، وصفاقة الوجه .

وقد سمعت ـ مؤخراً ـ من بعض طلبة العلم عن رد السبكي هذا ، وأنه ذكر ـ رسالة لأحد الشيخين ـ في رده هذا ، وذكر الحجج والرد عليها ، قلت : قد بان لك ما ترى ، وأنت الحكم . . .

ما هكذا تورد يا سعد الإبل . . . ! والله المستعان .

وقد بدى لي أمرٌ أرجو أن يكون صوابًا وهو : ـ أي الرد المذكور ـ منتزع من : حادي الأرواح ، أو شفاء العليل ، وكَتَبَ أن الرسالة من تأليف ابن القيم ، وأنه يقول بفناء النار وينتصر لذلك ، وفيها بعض شبه من كلامه .

فجاء السبكيُّ ، فألّف الرد المذكور ، ـ مع أنه لم يصرح أنها لابن القيم ، أو

---

(١) وهذه الرسالة ليست ردًا مباشراً على شيخ الإسلام كما زعم ذلك الشيخ ناصر ـ حفظه الله ـ في تعليقه على «رفع الأستار» (ص٦٢) .
وأنه لم يقف على الرد المذكور . . !! ، وكذا صاحب «كشف الأستار» الدكتور علي الحربي (ص١٨ ، ٢١) ، وذكر الشيخ أيضًا : ـ أنها ـ لعلي بن عبد الباقي ـ كذا ـ وإنما هو : عبد الكافي السبكي ، كما مرّ آنفًا . فلعله تحريف بصر أو خطأ من الطابع .

شيخه - استلت بيد جاهل، أو حاقد - وهو الأقرب - على عقيدة السلف، وبالأخص من حمل الراية في نصرتها، والذب عن حياضها، وإلجام المبتدعة، - شيخ الإسلام وتلميذه. .

• فأوهمت ما قد بينا بطلانه آنفًا.

ثانيًا: رسالة للإمام الشوكاني - رحمه الله تعالى - صاحب النيل، والتفسير وغيرها.

وعنوانها: «كشف الأستار في إبطال كلام من قال بفناء النار».

وقد زعم محمد حسن الغماري في كتابه «الإمام الشوكاني مفسرًا» (ص٤٩ ط دار الشروق عام ١٤٠١هـ) أن الشوكاني: رد بها على شيخ الإسلام وتلميذه - رحمة الله عليهما -.

وهذا ادعاء فارغ لا دليل عليه.

فهلا ذكر نص الرسالة. . أو جزءاً منها مع أنها في «١١ ورقة»[1]، فذكر كلام الشيخين، أو أحدهما فرد عليهما. . !!

يقول الدكتور عبد الله نوسوك في كتابه: «منهج الإمام الشوكاني في العقيدة»: «ولم أره تعرض فيها للشيخين كما زعمه بعض الباحثين، فإن كلامه من أولها إلى آخرها يدور حول الآية (١٢٨) من سورة الأنعام، والآية

---

(١) لا تزال مخطوطة، في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، تحت رقم(٢٢) ضمن مجموع (٥٩) متوكلية، وهي بخط الإمام الشوكاني رحمه الله.

وتوجد مصورتها عند الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف - بالمدينة النبوية -.



(١٠٧ ، ١٠٨) من سورة هود، والآية (٢٣) من سورة النبأ»[1] اهـ .

فبطل ما كانوا يظنون، أن الإمام الشوكاني له رد عليهما صراحة .

ثالثًا : رسالة بعنوان «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار» للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني ـ رحمه الله ـ .

وهذه الرسالة طبعت عام ١٤٠٥هـ بتحقيق العلامة المحدث : محمد ناصر الدين الألباني ـ حفظه الله ـ .

هذه الرسالة : ربما تعلّق بها من تعلّق من جاهل ينال من الشيخين ، فتكون له وسيلة .

أو مبتدع . . فيضلّل . . . ويبتدع . ثم يعزو إليها .

ولكن من قرأ هذه الرسالة : علم أن الصنعاني ـ رحمه الله ـ : لم يرد على شيخ الإسلام صراحة ولا تلميذه، بأن لهما مصنفًا : في فناء النار ! وإنما ارتضاءً وسكوتًا ـ وهذه ليست حجة ـ بل غاية ما في الرد : «أن ابن القيم ـ رحمه الله ـ حشد خيل الأدلة ورجلها، وكثيرها وقليلها، ودقها وجلها، وأجرى فيها قلمه وأتى بكل ما قدر عليه من قالٍ وقيل، واستنفر كل قبيل وجيل» كما قال الصنعاني ذلك .

وهذا الكلام صحيح، وذكره في : مختصر الصواعق (١/ ٣٤٥) . وشفاء العليل (ص٢٥١ ـ ٢٦٥) وأطال النفس، ولم يصرح بشيء . وحادي الأرواح (ص٢٦٠ ط عام ١٣٥٧هـ، وص٢٦٨ ط المدني عام ١٣٨٤هـ) . فكان ماذا . . . ؟!

---

(١) (ص٨٤٠) دار القلم ١٤١٤هـ .

حينما يذكر العالم مسألة فيها خلاف ـ كهذه ـ ويذكر الأقوال ونسبتها إلى أصحابها مع التدليل والتعليل. ويطيل النفس في بعضها. مع عدم تصريحه لما ذهب إليه، أيُنْسب إليه قول. وخصوصًا كهذا القول العقدي الهام الذي هو من أصول الدين المجمع عليه بين علماء الملة؟

أنلزم ابن القيم ـ رحمه الله ـ بما ليس بلازم... ؟!

ما أظن يخفى على الجميع أن: لازم القول ليس بلازم، كما أن ناقل الكفر ليس بكافر.

وكيف وقد وَجَدْتُ له أدلة صريحة تنفي عنه تلك التهمة وسيأتي ذكرها؛ ثم إن كلام الصنعاني ـ رحمه الله ـ (ص٦٣): إن شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ هو حامل لواء الأدلة، ومشيّد بنائها... إلخ. غير صحيح إطلاقًا، أو هو ما تبناه ابن القيم، وإنما هو كلام ابن القيم في حادي الأرواح، وشفاء العليل، ومختصر الصواعق ـ كما مر آنفًا ـ ؛ وقد نبه على ذلك العلامة الألباني، أثناء تعليقه على الرسالة المذكورة.

إذًا: من ظن أن رد الصنعاني ـ في الرسالة الآنفة ـ على أن شيخ الإسلام وتلميذه الإمام ابن القيم ـ رحمة الله عليهما ـ يقولان بفناء النار، أو أحدهما، أو أن لهما مصنفًا في ذلك أو أحدهما فقد أخطأ عليهما؛ بل أتى بخَلَلٍ وخَطَلٍ، مدفوع غير مقبول ـ والله وحده المستعان.

رابعًا: مما تعلّق به من نسب إلى الشيخين ـ القول بفناء النار ـ قولهم: الاستفاضة..! والشهرة..! وأنهما يقولان بذلك. وأنه يوجد في بعض كتب ابن القيم ما يدل على ذلك.



يقال لهم:

أبمثل هذه الإطلاقات.. والمجازفات. تنسب إلى الشيخين مسألة من مسائل أصول الدين هم مخالفون ـ فيها ـ أهل السنة والجماعة.!

حينما تطالب أولئك الزاعمين لتلك المقالة: أين صريح القول عنهم بذلك؟ في أي كتاب؟ أحضروا لنا النص...؟ وقفوا حيارى.. ولم يستطيعوا جوابًا... بل ولم ينطقوا صوابًا. ورددوا: استفاض واشتهر..! أهذا دليل أو برهان...!، كفى بالمرء إثمًا أن يحدث بكل ما سمع.

لا ننكر أن ابن القيم ـ عليه الرحمة والرضوان ـ أطال النفس فيها في كتبه: شفاء العليل، وحادي الأرواح[1]، ومختصر الصواعق.

لكنه لم يصرح بفناء النار، بل قطع دابر قول من نسب إليه القول بذلك؛ حيث يقول بعد ذكره أقوال الذين قطعوا بدوام النار وأن لهم ستة طرق فذكرها واحدًا تلو الآخر.. ثم قال:

والذي دل عليه القرآن، أن الكفار خالدون في النار أبدًا، وأنهم غير خارجين منها، وأنه لا يفتر عنهم من عذابها، وأنهم لا يموتون فيها أبدًا، وأن عذابهم فيها مقيم، وأنه غرامٌ لازمٌ لهم، وهذا كله مما لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين....ـ ثم قال: ـ وأما كون الكفار لا يخرجون منها ولا يفتر عنهم من عذابها، ولا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط؛ فلم يختلف في ذلك الصحابة ولا التابعون، ولا أهل

(١) سيأتي مزيد تفصيل عن ذلك في: الفصل الخامس ـ إن شاء الله تعالى ـ.

السنة؛ وإنما خالف في ذلك من قد حكينا أقوالهم من اليهود والاتحادية! وبعض أهل البدع![1] اهـ .

لم أكن أريد الاستعجال في نقل أقوال ابن القيم ـ رحمه الله ـ إلى حينها لكن حتى يتبين لكل من رزق فهمًا وعلمًا . . وأناة . أن هذا هو قول ابن القيم .

ألم يحك أنه مما لم يتنازع فيه الصحابة، بل والتابعون . . بل وإجماع المسلمين ـ علمائهم أهل السنة والجماعة ـ . . ؟

أليس القول بفنائها هو قول اليهود والاتحادية، وأهل البدع . . !

فيا من أطلق للسانه العنان، والكلام مع من هب ودرج، ولم يتحقق . . . بل لم يتق الله في أعراض المسلمين . .

أتظن أن العلامة البحر الهمام حامل راية السلف، محيي السنة مميت البدعة، وحاله وكتبه شاهدة بذلك ـ يخالف إجماع الصحابة والتابعين، وأهل السنة والجماعة . . ؟

ويوافق من يا ترى؟ اليهود والاتحادية، وأهل البدع!

أدع الجواب لك، بعد أن بان الحق لذي عينين مما ظنوه لهم وهو عليهم، وذهبت تلك الاستفاضة والشهرة أدراج الرياح . وبان الصريح عن الرغوة .

حجج تتهافت كالزجاج تخالها حقًا وكلٌّ كاسرٌ مكسور

* هذا وقد خرجت رسالة صغيرة المبنى والمعنى . . !!

---

(١) حادي الأرواح (ص٢٦٠ ط الثانية ١٣٥٧هـ، وص٢٦٨ ط المدني ١٣٨٤هـ) .



وأسماها صاحبها: «القول المختار لبيان فناء النار».

قلت: ولو أسماها بـ«قول المحتار ـ بحاء مهملة ـ لبيان فناء النار» لكان أولى به، وبما حشده من كلام دالٍ على جهله، حيث ذكر أن القول بفناء النار لا شك فيه، وأبان عن جهلٍ فاضحٍ، وأن القول بفنائها قد وردت به الأدلة من الكتاب والسنة!

وقد قال به بعض الصحابة والأئمة الأخيار..!، ونسب القول إلى الشيخين ـ عليهما الرحمة والرضوان ـ.

وقد قام بالرد عليه بعض طلبة العلم، والردود موجودة مشهورة، وخلاصة الرد عليه أمران اثنان:

١ ـ أدلة صريحة من السنة والآثار، لكنها غير صحيحة، لوضعها أو ضعفها الشديد، أو عدم ثبوت الآثار عن الصحابة بذلك.

٢ ـ أدلة صريحة، لكنها لا تدل على المدعى، وحملها أهل السنة والجماعة بمنطوقها ومفهومها على عصاة الموحدين، وهذا أمرٌ واضح، ثم إن في إقحام العقل في هذه المسألة العقدية الخطيرة ـ وغيرها ـ من أمهات مسائل أصول الدين، يسبب ضلالاً، وحيرة، وبعداً عن الحق.

وما ضلال من ضلّ إلا بسبب تقديم المعقول على المنقول، أو تحميل النصوص ما لا تحتمل، من تأويلات وتفسيرات، المسلم في غنىً عنها:

وكل خير في اتباع من سلف ... وكل شر في ابتداع من خلف

واختلاف الناس في الحق لا يوجب اختلاف الحق في ذاته..!

هذا ما وقفت عليه مما كان سببًا لهذه الفرية، ومن ثمّ التوصل بها، للنيل من الشيخين، والله المستعان.

❋ ❋ ❋



الفصل الرابع
ذكر أدلة صريحة من كلام
شيخ الإسلام - رحمه الله - بعدم فناء النار

شيخ الإسلام ابن تيمية النميري - قدّس الله روحه ونوّر ضريحه - على علمه وورعه، وزهده، وتقواه، ومناقبه دقيقها وجليلها، ومواقفه مع أهل الملل في مللهم، وأهل النحل في نحلهم، وجهاده في ساحات الوغى لنصرة هذا الدين، بل ومواقفه في خدمة العامة، وتواضعه، ودعوته للناس لما فيه الخير والصلاح - أمرٌ ظاهر، وكتبه ورسائله ناطقة بذلك.

والثناء عليه - والثناء عليه ومحبته قُربةٌ - يطول، وإن كان الإنسان لقراءته كتبه وسيرته يشفي عليله، ويروي غليله، ويشبع نُهمته، رجل لا يُعرف إلا بشيخ الإسلام، رجل إذا ذُكر أول المدافعين والمنافحين عن العقيدة، برز كَعَلَمٍ على رأسه نار، شهد له وأثنى عليه القاصي والداني.

بل حتى الأعداء، أثنوا عليه، والفضل ما شهدت به الأعداء.

تراجم هذا العلم مما سَطَره علماء هذه الأمة في فضله والثناء عليه، مشهورة ظاهرة فانظرها - غير مأمور - فليس هذا المقام لترجمته والثناء عليه.

وإن كانت الألسن تلهج بذاك والنفوس قد أُشْرِبت حبه، وحب من يحبه! جمعنا المولى - جل وعلا - به مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وما ذلك على الله بعزيز.

وإليك سياق ما وجدته صريحًا من كلامه ـ عليه الرحمة والرضوان ـ :

أولا : رسالة له بعنوان : «قاعدة في الرد على من قال بفناء الجنة والنار» :

ذكرها : ابن عبد الهادي في العقود الدرية (ص٦٧ ، بتحقيق محمد حامد) ، وذكرها : العلامة الألباني في السلسلة الضعيفة (٢/ ٧٥) ؛ وعزى ذكرها ليوسف ابن عبد الهادي في فهرسته (ق/ ٢٦/ ١) . اهـ.

أيضًا : ابن شاكر الكتبي ـ رحمه الله ـ حينما ترجم لشيخ الإسلام في : فوات الوفيات (١/ ٧٨) . ذكر أن له مصنفًا بعنوان : «بقاء الجنة والنار وعدم فنائهما» .

فلا أدري هل هما رسالتان أم واحدة؟

لا أستطيع الجزم بشيء ، وقد سألت عنها العلامة السلفي المحقق : محمد رشاد سالم ـ رحمه الله ـ قبل وفاته بعام ، حينما كان ضمن لجنة المراقبة ، بكلية أصول الدين/ قسم السنة ، وذكرت له ـ عليه الرحمة والرضوان ـ أن ابن عبد الهادي ذكر ذلك ، فقال لي : لم أطلع له على مصنف في ذلك ، ولم أعلم عن هذه[1] شيئًا .

وقد بحثت عنها في أسماء مؤلفات شيخ الإسلام فلم يذكرها ابن القيم ، وإنما ذكر رسالتين قريبتين من هذا المعنى :

الأولى : (رقم ٣٨ ص١٢) الكلام على الاستثناء الوارد في سورة هود .

الثانية : (ص٢١) قاعدة فيما يتناهى وما لا يتناهى ، ولم أجد في الفتاوى

(١) وقد طبعت مؤخرًا في دار بلنسية بالرياض ١٤١٥هـ بتحقيق شيخنا الدكتور : محمد بن عبد الله السمهري .



شيئًا عنها، فالله أعلم.

وعلى كلٍّ، فشيخ الإسلام يرد على من قال بفناء الجنة والنار بمصنفٍ مستقل.

فهل يتبنى هذا القول، أو يحشد خيل الأدلة ورجلها..؟! اللهم لا.

إجماع أهل السنة والجماعة، فهل يخالفه؟:

الدليل الثاني: حكايته:

سئل كما في الفتاوى (١٨/ ٣٠٧) عن حديث أنس بن مالك المرفوع: «**سبعة لا تموت ولا تفنى ولا تذوق الفناء: النار وسكانها، واللوح، والقلم، والكرسي، والعرش**» فهل هذا صحيح أم لا؟

فأجاب:

هذا الخبر بهذا اللفظ ليس من كلام النبي ﷺ، وإنما هو من كلام بعض العلماء، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها، وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية؛ كالجنة والنار، والعرش، وغير ذلك، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام، والمبتدعين؛ كالجهم ابن صفوان، ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهذا قول يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإجماع سلف الأمة وأئمتها. اهـ.

وقد جاء نحوه في: «نقض التأسيس» (١/ ٥٨١).

فهل يخالف شيخ الإسلام السلف وسائر أهل السنة والجماعة ويوافق المبتدعة كالجهمية والمعتزلة؟ لا أظن أحدًا يقول ذلك، ومن عُرف فسادُ معتقده وعدائه لأهل السنة فليس مخالفًا؛ إذ لا وزن له، فهو خارج عن أهل السنة والجماعة.

الدليل الثالث :القول بفناء الجنة والنار : قول مبتدع وباطل باتفاق سلف الأمة :

ما ذكره ـ رحمه الله ـ في معرض رده على الفلاسفة في كتابه القيم : «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» (١/ ١٥٢).

حيث يقول : «وكذلك لم يقل أحد من سلف الأمة وأئمتها : إن السموات والأرض لم تخلقا من مادة، بل المتواتر عنهم أنهما خلقتا من مادة، وفي مدة كما دل عليه القرآن؛ قال تعالى : ﴿**قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ ـ إلى قوله تعالى ـ : ﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ** ...﴾ الآية [فصلت : ٩ ـ ١٢].

وقال تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة : ٢٩].

وهذا الذي يذكره كثير من أهل الكلام والجهمية ونحوهم : في الابتداء نظير ما يذكرونه في الانتهاء، من أنها : تفنى أجسام العالم؛ حتى الجنة والنار! أو الحركات، أو ينكرون : وجود النفس وأن لها نعيمًا وعذابًا.

ويقولون : إن ذلك إنما هو للبدن بلا نفس، ويزعمون أن الروح عرض من أعراض البدن ونحو ذلك من المقالات التي خالفوا فيها الكتاب والسنة، إذ كانوا هم فيها والفلاسفة على طرفي نقيض، وهذا الذي ابتدعه المتكلمون : باطل باتفاق سلف الأمة وأئمتها»اهـ.

وانظر : (١/ ١٥٧) فقد جاء نحوه.

وله ـ رحمه الله ـ رد على الجهمية والهذلية في الكلام على : التناهي وعدمه،



حيث ذكر أن الجهم لما أراد أن يطرد دليله في وجوب النهاية لكل مخلوق أوجب فناء حركات أهل الجنة والنار؛ ولما أراد أبو الهذيل أن يطرد دليله في تناهي الحوادث أوجب انقطاع حركات أهل الجنة والنار. اهـ. من التأسيس (٢/ ١٨).

وسيأتي مزيد بيان ذلك؛ فهل يوافق أو وافق شيخ الإسلام الجهمية وغيرهم، وكتبه جلها في الرد عليهم؟! أدع الحكم لك أخي القارئ. . !

الدليل الرابع: القول بفناء نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار ـ قول شاذٌ صاحبه ضال:

ما قاله ـ رحمه الله ـ في درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٣٥٧ ـ تحقيق محمد رشاد ـ رحمه الله ـ) قال: «ولا نسلم أن ما كان وعدم، أو ما سيكون إذا قدر أن بعضه أقل من بعض يجب أن يكون متناهيًا؛ والمؤمنون بأن نعيم الجنة دائم لا ينقضي من المسلمين وأهل الكتاب يسلمون بذلك، ولم ينازع فيه من أهل الكلام إلا الجهم ومن وافقه على فناء النعيم؛ وأبو الهذيل القائل بفناء الحركات ـ أهل الجنة والنار ـ هما قولان شاذان قد اتفق السلف والأئمة، وجماهير المسلمين على تضليل القائلين بهما، ومن أعظم ما أنكره السلف على الجهمية: قولهم بفناء الجنة» اهـ.

وانظر نحوًا من هذا الكلام:

١ ـ درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٤٥)، و(١/ ٣٨، و٣٠٤ ـ ٣٠٥)، و(٣/ ١٥٧ ـ ١٥٨).

٢ ـ الفتاوى (٣/ ٣٠٤)، و (٨/ ٣٨٠)، و(١٢/ ٤٥).

٣ ـ منهاج السنة (١/ ٣٤ ـ ٣٦ ـ ط. بولاق).



الدليل الخامس: إقراره لأبي محمد بن حزم ـ رحمه الله ـ :

حينما قال في مراتب الإجماع (ص١٧٣ ط العلمية): «وأن الجنة حق، وأنها دار نعيم أبدًا لا تفنى ولا يفنى أهلها بلا نهاية، وأنها أعدت للمسلمين، والنبيين المتقدمين، وأتباعهم على حقيقة كما أتوا به قبل أن ينسخ الله تعالى أديانهم بدين الإسلام؛ وأن النار حق، وأنها دار عذاب أبدًا، لا تفنى، ولا يفنى أهلها أبدًا بلا نهاية، وأنها أعدت لكل كافر مخالف لدين الإسلام» اهـ.

فشيخ الإسلام ـ عليه الرحمة والرضوان ـ أقر ابن حزم على قوله هذا، خلافًا لغيرها من المسائل التي تعقبه فيها، ولو كان ـ رحمه الله ـ يرى خلاف هذا القول لحكى ذلك، ولناقش ابن حزم في ادعائه الإجماع.

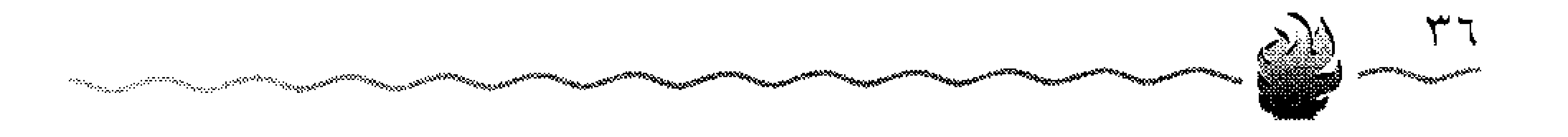
فهذا يدل ـ ولو على أدنى احتمال ـ ومع ما تقدم من الأدلة أن شيخ الإسلام لا يحيد عن مذهب أهل السنة والجماعة طرفة عين.

فكيف إذًا يقول من يقول ويزعم الزاعمون ـ وبئس مطية الرجل زعموا ـ أنه قد استفاض.. ! واشتهر.. ! عن شيخ الإسلام القول بفناء النار؟

والدعاوى إن لم يقيموا عليها بينات أربابها أدعياء

هذا الذي ندين الله به، ونعتقده في شيخ الإسلام، أنه لا يقول بفناء النار ـ فضلاً عن موافقة الجهمية أو الهذلية أو غيرها من الفرق الضالة ـ .

❁ ❁ ❁



الفصل الخامس

ابن القيم - رحمه الله - وموقفه من هذه المسألة

وسياق أدلة صريحة من كلامه على عدم فناء النار خلافًا لمن زعم أنه يميل إلى القول بفنائها.

بادئ ذي بدء: ابن القيم - رحمه الله - ذو موهبة متحركة، تنبض بالعقل الواسع، والفكر الخصب، والحافظة المدهشة، والقدرة العجيبة على استنباط الأدلة الشرعية، والإحاطة بقواعده، والكلام على المسائل الشرعية - أصولاً وفروعًا - بما لا مزيد عليه، إذ من قرأ كلامه في ذلك لا يتعداه إلى غيره، لكلامه على المسألة بما لا مزيد عليه، وكتبه خير شاهد؛ أثنى عليه علماء عصره فمن بعدهم.

يقول العلامة ابن رجب - رحمه الله - كما في الذيل على طبقات الأصحاب (٢/ ٤٤٨): «تفقه في المذاهب وبرع، وأفتى، ولازم شيخ الإسلام ابن تيمية، وتفنن في علوم الإسلام، وكان عارفًا في التفسير لا يجارى فيه، وبأصول الدين وإليه فيه المنتهى، والحديث ومعانيه، وفقهه ودقائق الاستنباط منه، لا يلحق في ذلك؛ وبالفقه وأصوله، وبالعربية وله فيها اليد الطولى، وعلم الكلام، والنحو وغير ذلك» اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر - عليه الرحمة والرضوان - كما في الدرر (٥/ ١٣٧/ ١٠٦٧ ط هندية): «كان جريء الجنان، واسع العلم، عارفًا بالخلاف ومذاهب السلف» اهـ.

ومن أراد بسط ترجمته فلينظر ما سطر الشيخ بكر أبو زيد ـ حفظه الله ـ في كتابه: «ابن القيم، حياته وآثاره» فهو أوسع وأشمل كتاب لترجمة ابن القيم ـ رحمه الله ـ.

لنعد إلى ما كنا نريد، فنقول: هل القول بفناء النار اشتهر عن الشيخين أو استفاض عن البعض أو هو أقرب إلى أحدهما دون الآخر؟

والجواب عن هذا السؤال ما يلي: أما شيخ الإسلام، فلا أظن ذلك، وقد تقدم ما يبطل ذلك وينفيه.

أما ابن القيم ـ رحمه الله ـ فربما كانت شهرة هذا القول عنه وميله إليه أقرب؛ والذي دعاهم لذلك أمور عدة:

الأمر الأول:

كما مر آنفًا ـ ربما ـ استل كلامه من أحد كتبه الثلاثة ـ الشفاء، مختصر الصواعق ـ وليس موجودًا في الأصل المطبوع ـ حادي الأرواح ـ جاهل، أو حاقد على العقيدة السلفية، أوغر صدره ـ حقدًا وحسدًا ـ على ابن القيم رحمه الله، فذكر الوجوه المؤيدة للقول بفناء النار، ومن ثمّ نسبها إلى ابن القيم، وقام بعض العلماء بالرد عليه ـ ظنًا ـ وأنه مما تبناه، وأيده.

وقد مر ـ آنفًا ـ رد السبكي، وأن ابن القيم ليس هو المقصود بذلك الرد؛ وإلا لما توانى السبكي في ذكر اسمه، والتشنيع، والتشهير به، ولم لا...؟!! وهي عائلة أشعرية قبورية، محاربة للعقيدة السلفية.

الأمر الثاني من أسباب شهرة هذا القول عن ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

إطالة نفسه جدًا، في ذكر وجوه تدعيم القول بفناء النار ـ في كتبه الثلاثة ـ



والتي مـرت آنفًا، فـمن قـرأها دون أول الكلام وآخـره، ظن أن ذلك مما تبناه، وأيده ودعمه بالدليل؛ حيث إن القارئ بعين الشفقة والرحمة على عباد الله، ومـن الله لعباده، وغمر الخلق بسعة رحـمة الله، وشمولها ـ حتى للكفار ـ حتى تأخـذ الأدلة بمجاميع لبه، حتى يظن القـارئ بل يجزم أن ابن القـيم يقـول بفناء النار، لما يرى من طول نفسه في سياق الأدلة العقلية والنقلية.

بل حتى القارئ ليقـول: هذا هو الحق الذي لا يجب المحيـد عنه، وقد فعل أحدهم ذلك ـ كما مر ـ وذكرنا من رد عليه.

الأمر الثالث:

دعوى من اعـتقـد أن لابن القيم ـ رحـمه الله ـ ثلاثة أقـوال في هذه المسـألة واشتهار بعض الأقوال دون الأخرى، وهي:

١ ـ بفنائها.

٢ ـ التوقف في الفناء وعدمه.

٣ ـ القول بعدم فنائها.

اشتهار الأول والثالث:

فهـذا كـلام يغني بطلانه عن رده، فأين الدليل على هذا التفـريق؟ هذه كـتب ابن القيم موجودة بين أيدينا، فأين أقواله على هذا النحو؟!

إذا كـانت أفـهامنا قاصرة، فلمـاذا نلزم غيرنا بما فـهمناه..؟!!، ولماذا نجعل الحق متعددًا وهو واحد؟!

فاختلافنا في معرفة الحق، لا يوجب الطعن على العلماء، ورميهم بما هم منه براء، ولا أن ننسب إلى غيرنا ما ليس بحق.



ولذا قال الشيخ بكر أبو زيد ـ حفظه الله ـ كما في ترجمة ابن القيم ـ رحمه الله ـ (ص١٤٨): «وهذه المسألة ـ فناء النار ـ طالما غلط فيها جم غفير من أنصاره وخصومه، فالحق أنه لا يقول بفناء نار الكافرين كما بين ذلك في كتابه الوابل الصيب» اهـ.

وبه قال الدكتور أحمد الغامدي وعلي الفقيهي في التعليق على الصواعق (ص١٥).

ولقد أخطأ الباحث أحمد ماهر البقري في كتابه: «ابن القيم من آثاره العلمية» (ص٥٠) حينما نسب إلى ابن القيم القول بفناء النار دون دليل أو برهان، وموقف ـ المؤلف ـ من ذلك بالتأييد لهذا القول الباطل فليعلم ذلك.

وممن أخطأ أيضًا الباحث محمد بن محمود أبو رحيم في تعليقه (٢/ ٢٦٣) على كتاب «الحجة في بيان المحجة» وذكر أن القول بفناء النار: هو قول ابن القيم وليس هذا فحسب ـ بل زعم أن هذا القول عزاه ابن القيم لشيخ الإسلام!!، ولم يأت بدليل واحد على هذا الادعاء، مع أن تعليقه كان على كتاب يتعلق بالعقيدة، ومعلوم استمداد العقيدة، فياليته أتحفنا بدليل..! ودون ذلك خرط القتاد..!، والله المستعان.

وأما تشنيع ابن حجر الهيتمي ـ بالتاء الفوقية المثناة كما في الزواجر[1]: على شيخ الإسلام وتلميذه وبسط لسانه بالتبديع والتضليل، وساقط القول فهو تهويش لا طائل من ورائه، والموعد الله وهو الحكم.

وأيضًا: قول العلامة السفاريني كما في لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٣٥): أن شيخ الإسلام وتلميذه الإمام المحقق يميلان إلى هذا القول. فقد مرّ بك بطلان ذلك عن شيخ الإسلام، أما الإمام ابن القيم فسيأتي خلاف هذا الفهم.

(١) كما في جلاء العينين (٤٧٩)، ولم أجده في المطبوع..! ولعله في فتاواه.



وأيضًا تشنيع العلامة المحدث الألباني ـ حفظه الله ـ كما في مقدمة «رفع الأستار» على الشيخين ، بما هو مدفوع غير مقبول بعبارات فيها جفاء للغاية ـ بما لا يليق بالشيخ ـ حفظه الله ـ؛ مع الشيخين رحمهما الله .

وإذا كان ابن القيم قد مال إلى ذكر أدلة القول بفناء النار ولم يصرح بشيء؛ بل وذكر أدلة من قال بعدم فنائها وأطال في ذلك؛ ووجدنا له أدلة صريحة خلاف ميله، أو ما توهمه المتوهمون، فلماذا ننسب إليه القول بفناء النار مع عدم تصريحه بذلك، ولم ننسب إليه القول بعدم فنائها؟! أليس هذا إجحافًا في حق هذا الإمام الهمام؟!

مع أن صريح كلمه هو الذي يدافع عنه، بل أين قوله صراحة بفناء النار؟!!، ومن ثمّ نعتذر عنه بعد ذلك بأعذار ـ أقبح من ذنب كما يقولون!!

بعد أن عددناه أو ساويناه ـ في هذه المسألة ـ بأهل البدع ومن على شاكلتهم، فهل حشد الأدلة لكلا الطرفين، ومن ثم الاسترسال مع أحدهما مع عدم التصريح ـ بل وجدنا ما يناقض هذا الميل ـ ينسب قولاً، ويبني عليه ما هو مدفوع نقلاً وعقلاً!!

❋ ❋ ❋

من كلام ابن القيم مختصرا والذي أوقع الوهم عند البعض

قال ـ رحمه الله ـ كما في الشفاء (٢٥١ ـ ٢٦٥ ط دار المعرفة ١٣٩٨هـ) أثناء كلامه في: استيفاء شبه النافين للحكمة والتعليل والأجوبة عنها: «فإن قيل: فأي لذة أو خير ينشأ من العذاب الشديد الدائم الذي لا ينقطع ولا يفتر عن أهله، بل أهله فيه أبد الآباد، كلما نضجت جلودهم بُدِّلوا جلوداً غيرها، لا يقضى عليهم فيموتوا، و لا يخفف عنهم طرفة عين؟

قيل: لعمرو الله هذا سؤال يقلق الجبال فضلاً عن قلوب الرجال؛ وعن هذا السؤال: أنكر من أنكر حكمة العزيز الحكيم، ورد الأمر إلى مشيئة محضة، لا سبب لها ولا غاية، وجوز على الله أن يعذب أهل طاعته وأولياءه وينزلهم إلى أسفل الجحيم!!

وينعم أعداءه المشركين به ويرفعهم إلى أعلى صفات النعيم!! أبد الآباد؛ وأن يدخل النار من شاء بغير سبب ولا عمل أصلاً!

وأن يفاوت بين أهلها مع مساويهم في الأعمال، ويسوي بينهم في العذاب مع تفاوتهم في الأعمال؛ وأن يعذب الرجل بذنب غيره، وأن يبطل حسناته كلها فلا يثيبه بها أو يثيب بها غيره!!

وكل ذلك جائز عليه، لا يعلم أنه لا يفعله إلا بخبرٍ صادق، إذ نسبة ذلك وضده إليه على حد سواء، وقالوا: ولا مخلص عن هذا السؤال إلا بهذا الأصل، وربما تمسكوا بظاهر من القول لم يضعوه على مواضعه، ولم يجمعوا



بينه وبين أدلة العدل والحكمة، وتعليق الأمور بأسبابها، وترتيبها عليها، وآثار الموازنة والمقابلة، وأخطأوا في فهم القرآن، كما أخطأوا في وصف الرب، بما لا يليق به وفي التجويز عليه ما لا يجوز عليه».

إلى أن قال بعد كلام نفيس للغاية، وذكر أيضًا أدلة من قطع بأبدية النار، وجال وصال:

«وكنت سألت عنها شيخ الإسلام ـ قدس الله روحه ـ فقال لي: هذه المسألة عظيمة كبيرة، ولم يجب فيها بشيء.

فمضى على ذلك زمن حتى رأيت في تفسير عبد بن حميد الكشي بعض تلك الآثار التي ذكرت في فناء النار، فأرسلت إليه الكتاب وهو في مجلسه الأخير، وعلّمت على ذلك الموضع، وقلت للرسول: قل له: هذا الموضع يشكل عليه، ولا يدري ما هو؟

فكتب فيها مصنفه المشهور[1] ـ رحمة الله عليه ـ فمن كان عنده فضل علم فليحدثه، فإن فوق كل ذي علم عليمًا.

وأنا في هذه المسألة على قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه ذكر دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ووصف ذلك أحسن صفة، ثم قال: يفعل الله بعد ذلك في خلقه.

وعلى مذهب ابن عباس رضي الله عنهما حيث يقول: لا ينبغي لأحد أن

---

(١) تقدم ذكر مصنف شيخ الإسلام رحمه الله (ص٣٠).
أيضًا نستفيد من هذا النص أنّ ابن القيم ـ رحمه الله ـ ألّف هذا الكتاب بعد اطلاعه على مصنف شيخ الإسلام السابق، وليتنا نعثر عليه لنرى ما تضمنه!



يحكم على الله في خلقه، ولا ينزلهم جنة ولا نارًا.

وعلى مذهب أبي سعيد الخدري رضي الله عنه حيث يقول: انتهى القرآن كله إلى هذه الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

وعلى مذهب قتادة ـ رحمه الله ـ حيث يقول في قوله: ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧]: الله أعلم بتبينه على ما وقعت.

وعلى مذهب عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، حيث يقول: أخبرنا الله بالذي يشاء لأهل الجنة فقال: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار.

والقول بأن النار وعذابها[1] دائم بدوام الله خبر عن الله بما يفعله فإن لم يكن مطابقًا لخبره عن نفسه بذلك، وإلا كان قولاً عليه بغير علم، والنصوص لا تفهم ذلك... والله أعلم» اهـ.

وقال أيضًا: «وما ذكرنا في هذه المسألة بل في الكتاب كله من صواب فمن الله وحده، وهو المان به، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريء منه، و هو عند لسان كل قائل، وقلبه، وقصده، والله أعلم اهـ. (ص٤٨٠ ـ حادي الأرواح).

أيضًا: وقوفهم عن عبارات موهمة كما في (ص٢٥٧ ـ ٢٥٨ ـ شفاء العليل)،

---

(١) ولقد حمّل المحدث الألباني ـ سدده الله ـ كما في (ص٣٥ ـ رفع الأستار) هذا النص ما لا يحتمل، وطعن على ابن القيم من خلاله بما لا يليق، على حساب فهمه هو لا على نص كلام ابن القيم ـ أول الكلام وآخره ـ.
ولو رجع إلى كلامه في الشفاء (ص٢٥٨) وكلامه في حادي الأرواح لتبين له الحق، وأنّ ابن القيم لا يقول بفناء النار.

و(ص٥٠٠ من حادي الأرواح دار ابن كثير)، ونحوه في مختصر الصواعق، دون الرجوع إلى أول الكلام وآخره.

وكلها لم يصرح فيها ابن القيم بشيء، بل وُجِدَ بين طياتها ما ينقض ما توهمه البعض، وسيأتي بحول الله وقوته ذلك.

❁ ❁ ❁



أدلة صريحة من كلام ابن القيم على عدم فناء النار

الدليل الأول :

ما حكاه في النونية (١/ ٨٢ ، و٢/ ٣٣٨ ، شرح ابن عيسى رحمه الله) في معرض رده على الجهمية قال :

وقضى بأن النار لم تخلق ولا ... جنان عدن بل هما عدمان

فإذا هما خلقا ليوم معادنا ... فهما على الأوقات فانيتان

وقضى بأن الله يجعل خلقه ... عدمًا ويقلبه وجودًا ثان

والعرش والكرسي والأرواح ... والأملاك والأفلاك والقمران

والأرض والبحر المحيط وسائر الأ ... كوان من عرض ومن جثمان

كل سيفنيه الفناء المحض لا ... يبقى له أثر كظلٍ فان

والعرش والكرسي لا يفنيهما ... أيضًا وإنهما لمخلوقان

والحور لا تفنى كذلك جنة الـ ... مأوى وما فيها من الولدان

ولأجل هذا قال جهم إنها ... عدم ولم تخلق إلى ذا الآن

وتمام هذا قولكم بفناء دار ... الخلد فالداران فانيتان

فهنا ذكر ابن القيم أن القول بفناء الجنة والنار هو قول الجهمية ، وهو قول مخالف لأهل السنة والجماعة ، بل حكى كفرهم عن الأئمة الأعلام . فهل يوافق

ابن القيّم ـ رحمه الله ـ الجهمية؟!

هذا لا يقوله أحد البتة.

أيضًا ابن رجب ـ رحمه الله ـ حينما ترجم لابن القيم في الذيل (٢/ ٤٤٨) قال: ولازمت مجالسته قبل موته بأزيد من سنة، وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة في السُّنة، وأشياء من تصانيفه.

فمن المحال ـ على حسن الظن ـ أن يحكي قول الجهمية الهالكة، ثم لا يذكر فيها خلافًا، أو أن يميل إلى القول بفناء النار.

تنبيه:

وهم الشيخ الألباني كما في ص(٨١ ـ رفع الأستار) في نسبة هذه الأبيات وجعلها لابن القيم، وهي:

ثمانية حكم البقاء يعمها　　　من الخلق والباقون في حيّز العدم

هي العرش والكرسي ونارٌ وجنةٌ　　　وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

حيث جعلها من صريح أدلة ابن القيم على عدم فناء النار.

والصواب: أنها لجلال الدين السيوطي، كما ذكر ذلك ابن عيسى في شرحه للنونية (١/ ٩٦)، والقافية ـ كما ترى ـ ميمية وليست نونية.

الدليل الثاني:

وهو أقوى كلام له وأصرح دليل، حيث يقول كما في حادي الأرواح (ص٢٦٠ ط الثانية ١٣٥٧هـ)، و(ص٢٦٨ ط المدني ١٣٨٤هـ).

قال: «والذي دل عليه القرآن، أن الكفار خالدون في النار أبدًا، وأنهم غير خارجين منها، وأنه لا يفتر عنهم من عذابها، وأنهم لا يموتون فيها أبدًا، وأن

عذابهم فيها مقيم، وأنه غرام لازم لهم، وهذا كله مما لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين. . . ».

إلى أن قال: «وأما كون الكفار لا يخرجون منها، ولا يفتر عنهم من عذابها، ولا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمِّ الخياط؛ فلم يختلف في ذلك الصحابة، ولا التابعون، ولا أهل السنة؛ وإنما خالف في ذلك من قد حكينا أقوالهم من اليهود والاتحادية، وبعض أهل البدع» اهـ.

هذا هو نص كلامه، وصريح عبارته، فهل بعد هذا البرهان برهان، لا أظن أن هذه العبارات تحتاج إلى زيادة بيان اقرأ. . . وتأمل. . .

الدليل الثالث:

ماذكره في الوابل الصيّب (ص٢٤ ط الثانية ـ تحقيق الأرناؤوط)، و(ص٤٩ ـ تحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري)، قال بعد أن ذكر النار وأنها دار خبث:

«ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشينه خبث، وخبث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، كانت دورهم ثلاثة:

١ ـ دار الطيب المحض.

٢ ـ دار الخبث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان.

٣ ـ ودار لمن معه خبث وطيب، وهي الدار التي تفنى، وهي دار العصاة، فإنّه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد. . . »اهـ.

فهنا نجد أن ابن القيم صرح: أن الدور ثلاثة، داران لا تفنيان، ودار تفنى، وهي دار عصاة الموحدين.

وهذا التفريق بين دار عصاة الموحدين، ودار الكافرين: يعطي دلالة قوية



على أنه ـ رحمه الله ـ لا يقول بفناء نار الكافرين، فتأمل هذا.

فائدة مهمة:

كلام ابن القيم هذا لعله من آخر أو آخر ما تكلم به في هذه المسألة، ويدل على ذلك أمور:

١ ـ ذكر ابن رجب في ذيل الطبقات (٢/ ٤/ ٤٤٨): أن ابن القيم ـ رحمه الله ـ أثناء حبسه، وقبل موته بسنة فتح الله عز وجل عليه في علوم أهل المعارف ـ أحوال القلوب ـ وتصانيفه ممتلئة بذلك. اهـ.

قال الراقم: ولا شك أن الوابل الصيب كله متعلق بأحوال القلوب، واسمه يطابق مسماه: «الكلم الطيب والعمل الصالح».

٢ ـ أن هذا الكتاب مما ألفه ابن القيم حال سجنه مع شيخه ـ رحمه الله ـ.

إذ يذكر ابن رجب ـ رحمه الله ـ (ص٤٤٨/ ٤): أنه حبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة، منفردًا عنه، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ.

ويدل على ما تقدم ما يلي:

أ ـ قوله حكاية عن حال شيخ الإسلام: «وكان يقول في محبسه في القلعة. . .» إلخ.

ب ـ أيضًا «وكان يقول في سجوده وهو محبوس. . .» إلخ.

جـ ـ أيضًا «ولما أدخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾» [الحديد: ١٣].

وهذا واضح لا يخبر ابن القيم عن هذه الحال إلا وهو مسجون، بل قبله، وقوله: «نظر إليه»، لا شك أنه داخل السجن.



د ـ قول ابن القيم : «وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحًا، وقوة ويقينًا، وطمأنينة»اهـ.

فهذه الحال إخبار عن واقعهم المحزن، حالة سجنهم مع شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ.

فهذه وغيرها مما ذكره ابن القيم في الوابل (ص١٠٥ ـ ١٠٧ ـ تحقيق الأنصاري) يدل على أمور :

١ ـ أن كلام ابن القيم ـ رحمه الله ـ في عدم فناء النار ـ نار الكفار ـ متأخر إذ ألّف هذا الكتاب حال سجنه، وقُبيل وفاته بقليل، فكل كلام مجمل له ـ رحمه الله ـ حول هذه المسألة يرد إليه، فيكون ـ ولو على أقل احتمال ـ ناسخًا لما تقدم من كلامه.

٢ ـ أن تفريق ابن القيم بين دار عصاة الموحدين والكافرين يدل على أنه لا يقول إلا بفناء نار الموحدين. . فتأمل.

٣ ـ أن هذا الكتاب ألفه وهو في السجن دل على ذلك أسلوبه، وهو متعلق بأحوال القلوب، وإصلاحها، وتقدم كلام ابن رجب حول ذلك.

أيضًا : حكايته عن شيخ الإسلام كثيرًا من أحواله، والله أعلم.

وقد جاء نحو من هذا الكلام ـ كلامه في الوابل ـ في «زاد المعاد» (١/ ٦٦ ـ ٦٨)، بتحقيق الأرناؤوط، وأيضًا في «مدارج السالكين» (١/ ٣٩٧ ط أولى ١٣٧٥هـ).

هذا ما وقفت عليه من أدلة تُبَرِّئ ابن القيم ـ رحمه الله ـ مما نسب إليه، ولعل ما عزب عنا أكثر مما وجدناه، فمن كان عنده زيادة علم فليفدنا مشكورًا مأجورًا بحول الله وقوته، وفوق كل ذي علم عليم.

اعتذار :

قلت وأنا الفقير إلى الله :



«هذا ما خطه قلمي، وكتبته يدي، فلك أيها القارئ غنمه، وعلى كاتبه غرمه، وإني لأرجو الله عز وجل أن ينفع به من نالته يده.

وأسأله سبحانه أن يغفر لي ما زلّ به قلمي، أو طغى به فكري، إنه حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

وأيضًا:

«فيا أيها الناظر فيه، لك غنمه، وعلى مؤلفه غرمه، ولك صفوه وعليه كدره، وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك، وبنات أفكاره تزف إليك، فإن صادفت كفؤًا كريمًا لم تعدم منه؛ إمساكًا بمعروف أو تسريحًا بإحسان، وإن كان غيره فالله المستعان؛ فما كان من صواب فمن الواحد المنان، وماكان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله بريء منه ورسوله»[1].

وكتبه

خليل الجبور السبيعي

❋ ❋ ❋

---

(١) حادي الأرواح (ص١٤)، وعلى مثل هذا الاعتذار درج كثير من السلف والخلف تجدها في أوائل مؤلفاتهم، ومنها على سبيل الذكر:
- غريب الحديث/ للخطابي (١/ ٤٩ ط أم القرى).
- النهاية/ لابن الأثير (١/ ١١ ط المكتبة الإسلامية).
- غريب الحديث/ للزمخشري (١/ ١٢ ط الحلبية).
- صبح الأعشى/ للقلقشندي (١/ ٣٦ ط دار الكتب العلمية).
- معجم الأدباء/ لياقوت الحموي (١/ ١١ - ١٢ ط دار المغرب) وهو أحسن اعتذار قرأته.

الباب الثاني

تحقيق الرسالة



ترجمة المصنف

اسمه ونسبه:

هو الإمام زين الدين مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف الكرمي نسبة لطور كرم - قرية في نابلس - المقدسي.

مولده:

ولد في طور كرم بفلسطين، وانتقل إلى القدس، ثم إلى القاهرة، واستقر بها، إلى أن توفي رحمه الله.

مذهبه والثناء عليه:

كان - رحمه الله - في الفروع بل والأصول على مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - عارفًا به، ومنافحًا عنه، بل وعاشقًا له حيث يقول:

لئن قلد الناس الأئمة إنني ... لفي مذهب الحبر ابن حنبل راغبُ

أقلد فتواه وأعشق قوله ... وللناس فيما يعشقون مذاهبُ

قال صاحب «النعت الأكمل» (ص١٨٩): «شيخ مشايخ الإسلام، أوحد المحققين الأعلام، واحد عصره وأوانه، ووحيد دهره وزمانه، صاحب التآليف العديدة، والفوائد الفريدة، والتحريرات المفيدة، خاتمة أعيان المتأخرين، من سمت بعلومه سماء المناخر...» ثم أطال في الثناء عليه، وذكر أبياتًا، فانظرها إن شئت.

وقال المجبي: كان إمامًا فقيهًا، محدثًا، ذا اطلاع واسع على نقول الفقه



ودقائقه، ومعرفة تامة بالعلوم المتداولة».

وغيره كثير من علماء عصره ممن أثنوا عليه وشهدوا له بالعلم الغزير، منقولاً ومعقولاً.

عقيدته:

فقد كان على مذهب السلف الصالح أهل السنة والجماعة، إثبات بلا تكييف، وتنزيه بلا تعطيل، كذلك توحيد الألوهية على ما عليه سلف هذه الأمة، كما يظهر ذلك في كتبه ـ رحمه الله ـ.

شيوخه:

أخذ العلم عن شيوخ عدة:

ـ ففي القدس: عن الشيخ المرداوي، والقاضي يحيى الحجاوي.

ـ وفي مصر: أخذ عن الشيخ محمد حجازي الواعظ، والمحقق أحمد الغنيمي، والعلامة منصور البهوتي.

وذكر أنه لما ألّف: «دليل الطالب» عرضه على العلامة البهوتي، فتعجب منه فقال: يا بني زبزبت قبل أن تحصرم.. !وله إجازات عن شيوخه.

مصنفاته:

له ـ رحمه الله ـ اليد الطولى في التصنيف والتحقيق في كل فن، فمنها على سبيل الذكر:

١ ـ دليل الطالب لنيل المطالب.

٢ ـ الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية.

٣ ـ غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى .

٤ ـ الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة .

٥ ـ الكواكب الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية . وهو مطبوع، وهو أجلّ كتاب في ترجمة شيخ الإسلام.

٦ ـ أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات . وغيرها .

أما المخطوط : فهو كثير جداً، وذكرها الدكتور : نجم بن عبد الرحمن بن خلف أثناء تحقيقه لكتاب «مسبوك الذهب في فضل العرب» (ص١٥) .

وفاته :

توفي ـ عليه الرحمة والرضوان ـ بمصر في شهر ربيع الأول، سنة ثلاثة وثلاثين وألف (١٠٣٣هـ) من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

مصادر ترجمته :

١ ـ النعت الأكمل/ للغزي العامري (ص١٨٩) .

٢ ـ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٤/ ٣٥٨ ـ ٣٦١) .

٣ ـ عنوان المجد/ لابن بشر (١/ ٣١ ـ ٣٣) .

٤ ـ هدية العارفين/ لإسماعيل باشا (٦/ ٤٢٦) .

٥ ـ السحب الوابلة على مدائح الحنابلة/ لابن حميد ـ مصور مخطوط (ل٣٢٥/ ب) موجودة لديّ .

٦ ـ الأعلام/ للزركلي (٧/ ٢٠٣) .

٧ـ معجم المؤلفين (١٢/ ٢١٨) وغيرها كثير.

وصف النسخة:

اعتمدت على نسخة واحدة فريدة، هي بخط المؤلف ـ رحمه الله ـ، حيث كتبها ضمن رسائل في أواسط ذي القعدة عام ١٠٣٣هـ، أي قبل وفاته بأربعة أشهر تقريبًا.

وهذه النسخة: ضمن مخطوطات الظاهرية برقم: (٨٥٦٢)، وقد صورتها جامعة الكويت وهي فيها برقم (١٨٢ ـ مجموع ١٨)، وهي بخط معتاد مقروء، تتكون من ٦ ورقات (اثنتي عشرة لوحة) في كل وجه (٢١) سطرًا تقريبًا.

توثيق الرسالة:

مما يورث الثقة أن هذه الرسالة للإمام مرعي الحنبلي ـ رحمه الله ـ أمور عديدة:

١ ـ أنها بخط المصنف، مما لا يدع مجالاً للطعن فيها.

٢ ـ ذكرها كل من ترجم له من المتقدمين والمتأخرين:

ـ المحبي (٤/ ٣٦٠).

ـ والغزي في النعت الأكمل (ص١٩١).

ـ صاحب كشف الظنون (٦/ ٤٢٧).

ـ والعلامة السفاريني في لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٣٥).

ـ والعلامة الألوسي في جلاء العينين (ص٤٢٤)، وغيرهم كثير.

منهج التحقيق:

١ ـ نسخها ومقابلتها؛ إذ النسخة خالية من التحريف، فهي بخط المؤلف.

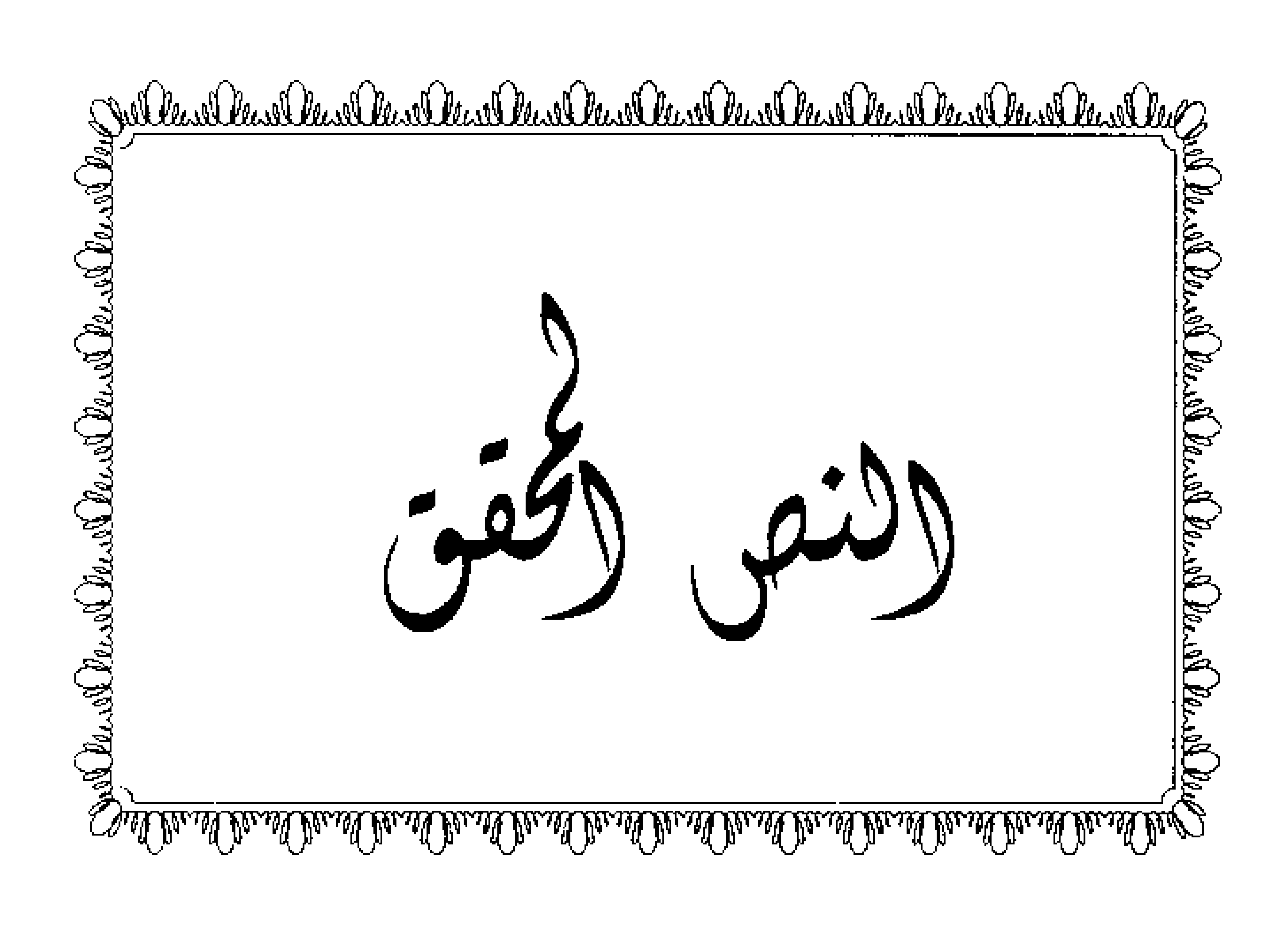
٢ ـ تحقيق النص بضبطه، وتخريج الأحاديث والآثار على جهة الاختصار.

٣ ـ علقت على بعض ما أراه محتاجًا إلى تعليق بإيجاز، وقد أترجم أحيانًا لمن أراه بحاجة إلى ترجمة.

٤ ـ لم أثقل كاهل الحواشي بنفخها... إذ لو قيل لكل تعليقة: طيري لطارت.. ولرجعت إلى مكانها..!!

فلست ـ ولله الحمد ـ مصابًا بداء غثاء النقول، ونفخ الكتب والرسائل بما لا يستفيد القارئ منه شيئًا.

❋ ❋ ❋


النص المحقق



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه ثقتي، حمدًا لك يا من تتصرف في الخليقة وفق ما تريد، وشكرًا لك يا من هو المالك في الحقيقة ونحن له عبيد، حكمت فأمضيت؛ وقدرت فقضيت، وأمتَّ وأحييت، وجعلت الخلق ما بين شقي وسعيد؛ فالشقي من أعرض وتكبر، والسعيد من تدبر فاستبصر، وعمل لما بين يديه من وعد ووعيد.

أحمد الله سبحانه وتعالى، وأسأله من فضله المزيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تنفع قائلها إذا ذبح الموت بين الدارين، ونادى المنادي بين الفريقين: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت، فهناك يزداد حزن أهل النار، وفرح أهل التوحيد.

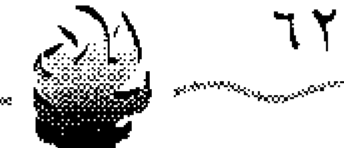
وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، وأشهدُ الله بذلك، وهو على كل شيء شهيد، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولي الفصاحة، والبلاغة، والتجريد، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

وبعد:

فيقول الفقير إلى الله تعالى: مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي [رحمه الله][(١)]: قد استخرت الله سبحانه سائلاً عفوه وغفرانه في جمع فوائد مفرقة، ونظم فرايد متفرقة، في خلود أهل الدارين، وذبح الموت بين الفريقين؛ معتمدًا في ذلك: على ما بينه أهل السنة والجماعة، والأئمة المحققون، مبينًا لحجج أهل

---

(١) زيادة من الراقم.



البدع الداحضة مع الداحضين، وسميته:

[توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين]

فأقول مستعينًا بالله ذي الجلال والإكرام، سائلاً له الوفاة على الإسلام:

مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة

اعلم - وفقك الله تعالى - أن مذهب أهل الحق هو الحق في كل مسألة، ومذهبهم: أن الجنة والنار موجودتان الآن، خلافًا للمعتزلة، وإنما هما باقيتان لا تفنيان، ولا يفنى أهلهما خلافًا للجهمية: حيث ذهبوا إلى أنهما تفنيان، ويفنى أهلهما.

قال السعد التفتازاني[1]: وهو قول باطل مخالف للكتاب والسنة والإجماع، ليس عليه شبهة، فضلاً عن حجة. انتهى.

وأقول الحق بطريق الإنصاف: أن للقائلين بانقطاع عذاب الكفار شبهة قوية بحسب الظاهر كما ستسمع، فالقائلون بانقطاع عذاب الكفار: هم أبو الهذيل[2] المعتزلي وغيره، قالوا: ينقطع عذاب الكفار، وله غاية ونهاية؛ واحتجوا لذلك

---

(١) هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (سعد الدين)، ولد بتفتازان إحدى قرى نواحي «نسا» بخراسان عام (٧٢٢ - ٧٩٢هـ)، وهو علامة فقيه، حنفي، أديب، له مصنفات عدة في الفقه وأصوله.

انظر: البدر الطالع (٢/ ٣٠٢ وما بعدها)، وكشف الظنون (٦/ ٤٢٩ - ٤٣٠)، ومعجم المؤلفين (١٢/ ٢٢٨ وما بعدها).

(٢) هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله العبدي، المشهور بالعلاف، من أئمة المعتزلة، ولد بالبصرة سنة (١٣٥ - ٢٢٦هـ)، وكف بصره في آخر عمره، وقد أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء.

نادرة: مات لصالح بن عبد القدوس ولد، فأتاه العلاف يعزّيه، فرآه جزعًا، فقال: ما =

بالمنقول والمعقول.

فاحتجوا من القرآن بآيات:

الأولى: قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ...**﴾ [هود: ١٠٦، ١٠٧].

فدل هذا النص: على انقطاع عذابهم؛ لأن مدة السموات والأرض متناهية، فلزم أن تكون مدة العقاب منقطعة.

الثانية: قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾ [هود: ١٠٧]، استثناء من مدة عقابهم، وذلك يدل على زوال العقاب.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿**لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا**﴾ [النبأ: ٢٣]؛ فبين تعالى أن لبثهم في العذاب لا يكون إلا أحقابًا معدودة.

وأما المعقول فوجهان[1]:

أحدهما: أن معصية الكافر متناهية، ومقابلة الجرم المتناهي بعقاب ما لا

= هذا الجزع وعندك أن المرء كالزرع؟ قال: يا أبا الهذيل، جزعت عليه لكونه ما قرأ كتاب «الشكوك» لي، فمن قرأه يشك فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن، وفيما لم يكن حتى يظن أنه كان! قال: فشُك أنت في موت ابنك، وظُن أنه لم يمت، أو شُك أنه قد قرأ كتاب «الشكوك»!!!.

وانظر: تاريخ بغداد (٣/ ٦٦)، لسان الميزان (٥/ ٤١٣)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٥)، والسير (١١/ ١٧٣)، والوافي بالوفيات (٥/ ١٦١)، وشذرات الذهب (٢/ ٨٥)، والفرق بين الفرق (ص١٢١ - ١٣٠)، والملل والنحل (١/ ٤٩ - ٥٣)، وغيرها.

(١) الأدلة العقلية مختصرة من كلام الرازي في تفسيره (١٨/ ٥١ - ٥٢ - دار الكتب العلمية). =



نهاية له ظلم وهو على الله تعالى محال .

وثانيهما : أن العقاب ضرر خال من النفع فيكون قبيحًا ؛ لأن ذلك النفع لا يرجع إلى الله تعالى ، لتعاليه عن النفع والضرّ ، ولا إلى العبد ؛ لأنه ضرر محض ، ولا إلى أهل الجنة ؛ لأنهم مشغولون بلذاتهم ، فلا فائدة في الالتذاذ بعقاب دائم في حق غيرهم .

وأجاب أهل الحق عن هذه الأدلة المذكورة من وجوه :

* فأجابوا عن قوله تعالى : ﴿مَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ بوجهين[1] :

= **فوائد :**

الرازي صاحب التفسير قال عنه شيخ الإسلام كما في نقض تأسيس الجهمية (١/ ١٢٢) : أبو عبد الله الرازي فيه تجهم قوي ، ولهذا يوجد ميله إلى الدهرية أكثر من ميله إلى السلفية الذين يقولون : إنه فوق العرش ، وربما كان يوالي أولئك أكثر من هؤلاء ، ويعادي هؤلاء أكثر من أولئك ، مع اتفاق المسلمين على أن الدهرية كفار ، وقد صنف على مذهب الدهرية المشركين ، والصابئين كتبًا ، حتى قد صنف في السحر ، وعبادة الأصنام ، وهو الجبت والطاغوت «السر المكتوم في مخاطبة النجوم» .

وقال الحافظ ابن حجي (٤/ ٤٢٦ ـ لسان الميزان) : رأس في الذكاء والعقليات ، لكنه عري من الآثار ، له تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث الحيرة ، نسأل الله أن يثبت على الإيمان قلوبنا ـ إلى أن قال ـ : وكانت له أوراد من صلاة وصيام لا يخل بها ، وكان مع تبحره في العلوم يقول : من التزم دين العجائز فهو الفائز ! ! ، وكان يعاب بإيراد الشبه الشديدة ويقصر في حلها ، حتى قال بعض المغاربة : يورد الشبهة نقدًا ويحلها نسيئة ! ! . . وألّف في الرد على تفسيره مجلدان ، وله بلايا وطوام في المعتقد ، نسأل الله السلامة ، وأوصى بوصية تدل على أنه حسّن اعتقاده . اهـ .

انظر : طبقات الشافعية (٨/ ٨١ وما بعدها) ، والبداية والنهاية (١٣/ ٥٥ وما بعدها) ، والفتاوى (٤/ ٧١ ـ ٧٤ ، ٧٨ ، ٩٩ ، و٣/ ١٢٨ ، ١٢٩ ، و٧/ ٥١١ ـ ٥١٣) . وانظر لزامًا : نقض تأسيس الجهمية/ لشيخ الإسلام ـ وهو مطبوع ـ .

(١) قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ (١٧/ ١١٩) في تأويل هذه الآية من تفسيره : «وأولى من =

أحدهما: أن المراد سموات الآخرة وأرضها، بدليل قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ**﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿**وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ**﴾ [الزمر: ٧٤]، وكلاهما دائم، فوجب أن يكون خلودهم وعذابهم دائمًا بدوامهما، ونحو ذلك للضحاك ـ رحمه الله ـ.

وثانيهما: أنه تعالى خاطب العرب على ما جرى به عرف التخاطب بينهم؛ لأن التأبيد والخلود له عندهم ألفاظ، كقولهم: هو باق ما أينع الثمر، وأورق الشجر، وما دجى الليل، وسأل سائل، وطرق طارق، وما دامت السموات والأرض.

* وأجابوا عن قوله تعالي: ﴿**إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾ بوجوه[1]:

= هذه الأقوال في تأويل هذه الآية بالصواب: القول الذي ذكرنا عن قتادة والضحاك من أنّ ذلك: استثناء في أهل التوحيد من أهل الكبائر أن يدخلهم النار، خالدين فيها أبدًا، إلا ما شاء من تركهم فيها أقل من ذلك، ثم يخرجهم فيدخلهم الجنة، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصحة في ذلك؛ لأن الله جلّ ثناؤه أوعد أهل الشرك بالخلود في النار، وتظاهرت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ ، فغير جائز أن يكون استثناء في أهل الشرك وأن الأخبار قد تواترت عن رسول الله ﷺ أن الله يدخل قومًا من أهل الإيمان به بذنوب أصابوها النار، ثم يخرجهم منها، فيدخلهم الجنة .

فغير جائز أن يكون ذلك استثناء في أهل التوحيد قبل دخولها مع صحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بما ذكرنا، وإنا إن جعلناه استثناءً في ذلك كنا قد دخلنا في قول من يقول: لا يدخل الجنة فاسق، ولا النار مؤمن، وذلك خلاف مذاهب أهل العلم، وما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ؛ فإذا فسد هذان الوجهان فلا قول قال به القدوة من أهل العلم إلا الثالث» اهـ.

وانظر: القرطبي (٩/ ٩٩)، وزاد المسير (٤/ ١٥٩)، وابن كثير (٢/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤)، وغيرها.

(١) نقل المصنف ـ رحمه الله ـ هذه الوجوه من تفسير الرازي بنصها (١٨/ ٥٢ ـ ٥٤).



أحـــدها: لابن قتيبة، وابن الأنباري، والفقهاء كالشافعي، وأحمد، وإسحاق، والأوزاعي أن هذا استثناءٌ استثناه الله تعالى، ولا نعقله البتة[١]؛ فعلى هذا: فهو من المتشابه.

وثانيـها: أنه ليس باستثناء، وإنما «إلا» بمعنى: «سوى»، كما تقول: لي عليك ألف درهم إلا الألفين التي لي عليك، أي: ســوى الألفين. والمعنى: خالدين فيها قدر مدة دوام السموات والأرض في الدنيا، سوى ما شاء ربك من الزيادة عليها، مما لا منتهى له.

وثالثـها: أن المراد من هذا الاستثناء زمان وقوفهم في الموقف، قال: ففي النار ما دامت السموات والأرض إلا وقت وقوفهم للمحاسبة؛ فإنهم في ذلك الوقت لا يكونون في النار.

ورابعها: أن هذا الاستثناء راجع لقول الله تعالى: ﴿**لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ**﴾ [هود: ١٠٦]؛ لأن ذكر الزفير والشهيق مع الخلود يقتضي دوام ذلك، فاستثناه تعالى من ذلك.

وخامسها: أن المراد بالاستثناء إنما هو انتقالهم من النار إلى البرد والزمهرير وسائر أنواع العذاب، فقد ذكر المفسرون أن الزمهرير هو البرد الشديد المفرط، وأنه يقع به العذاب لأهل النار، كما يقع بالنار، وأنهم يخرجون من النار إلى الزمهرير، فيتبادرون من شدة الزمهرير إلى النار.

وســادسـها: أن الاستثناء راجع إلى خروج أهل التوحيد من النار، وهو الظاهر من هذه الأقوال، وهو قول ابن عباس، وقتادة، وجماعة، ومال إليه

---

(١) وفي تفسير الرازي: «ولا يفعله البتة!».



الإمام فخر الدين الرازي.

قال الثعلبي: وعلى هذا القول: فهو استثناء من غير جنسه، فإن قيل: لو صح هذا القول لقال تعالى: «إلا من شاء ربك»؛ لأن «من» لعاقل، بخلاف «ما» فإنها لغيره، والآية بـ «ما»، لا بـ «من».

قلنا: قد صرح أهل التحقيق أن «ما» أيضًا تكون للعالم كما في قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس: ٥]، و﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ﴾ [الليل: ٣]، فتأمل[1].

* وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ بوجوه:

أحدها: أنها منسوخة[2] بقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠].

---

(١) وقد تكلم على هذا الاستثناء بكلام نفيس للغاية: ابن جرير في تفسيره (١٢/ ١١٧ - ١٢١)، فقال: «وأولى الأقوال ذلك عندي بالصواب القول الذي ذكرته عن الضحاك، وهو: من قدر مكثهم في النار من لدن دخولهم إلى أن أدخلوا الجنة، وتكون الآية معناها الخصوص؛ لأن الأشهر من كلام العرب في «إلا» توجيهها إلى معنى الاستثناء وإخراج معنى ما بعدها مما قبلها، إلا أن يكون معها دلالة تدل على خلاف ذلك، ولا دلالة في الكلام، أعني في قوله: ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ تدل على أن معناها غير معنى الاستثناء المفهوم في الكلام فيوجه» اهـ.
وقد ذكر القرطبي - رحمه الله - في تفسيره (٩/ ٩٩ - ١٠٢) على هذا الاستثناء عشرة أقوال، فانظره غير مأمور، وانظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٩٤)، وزاد المسير (٧/ ١٦٠ - ١٦١)، وذكر سبعة أقوال، والرازي (١٨/ ٥٣)، والكشاف (١٢/ ٢٣٥)، ووضح البرهان (١/ ٤٤٣)، والبرهان للزركشي (٣/ ٥١)، ودراسات لأسلوب القرآن (ج١ ق١/ ص٢٧٧)، وله كلام نفيس، ودفع إيهام الاضطراب (ص١٢٢) وغيرها.

(٢) قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - (٣٠/ ١٢ - ١٤): «والقول بالنسخ لا معنى له؛ لأن =

وثانيها : لا نُسلِّم أن الوقوف على أحقابًا؛ بل المعنى : لابثين فيها أحقابًا لا يذوقون في تلك الأحقاب إلا الحميم والغساق ومن أنواع العذاب .

وثالثها : أن المعنى : يلبثون فيها (أحقابًا)، فكلما مضى حقب تبعه حقب؛ وإنما يدل على التوقيت لو نص على العدد، عشرة أحقاب أو خمسة أو غير ذلك .

ورابعها : أن المراد أحقابًا لا انقضاء لها، وحُذِفَ للعلم بحال أهل النار على ما دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

= قوله : ﴿ **لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا** ﴾خبر، والأخبار لا يكون فيها نسخ، وإنما النسخ يكون في الأمر والنهي» . اهـ.

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ (١٩/ ١٧٩) : «قلت : وهذا بعيد ـ أي النسخ ـ» . اهـ.

وذكر الماوردي في تفسيره (٦/ ١٨٦) في تفسير مدة الحقب سبعة أقوال :

أحدها : أربعون سنة، قاله أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ .

الثاني : أربعون سنة، قاله ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ .

الثالث : سبعون سنة، قاله السديّ ـ رحمه الله ـ.

الرابع : أنه ألف شهر، رواه أبو أمامة مرفوعًا، قال الراقم : وهو حديث منكر جدًا .

الخامس : ثلاثمائة سنة، قاله بشير بن كعب ـ رحمه الله ـ .

السادس : سبعون ألف سنة، قاله الحسن ـ رحمه الله ـ.

السابع : أنه دهر طويل غير محدود، قاله قطرب . اهـ.

وقد رجح الإمام ابن جرير الطبري، والإمام القرطبي، والعلامة الشنقيطي ـ رحمه الله ـ أن معنى : ﴿ **لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا** ﴾ : أنه متعلق بما بعده، أي لابثين فيها أحقابًا في حال كونهم لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا إلا حميمًا وغساقًا، فإذا انقضت تلك الأحقاب عذبوا بأنواع أخر من أنواع العذاب غير الحميم والغساق .

انظر : الطبري (٣٠/ ١٢)، والقرطبي (١٩/ ١٧٧ ـ ١٨٠)، ودفع إيهام الاضطراب (ص٣٠٧ ـ ٣٠٨)، وللرازي كلام نفيس فانظره في تفسيره (٣١/ ص١٣)، وقبله للزمخشري في كشافه (٤/ ١٧٨) .

وروي معناه عن أبي هريرة في قوله تعالى: ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ قال: «الحقب: ثمانون سنة، والسنة ثلثمائة وستون يومًا، كل يوم ألف سنة»[1].

قلت: لعمري إن لبث الحقب الواحد من أعظم المصايب، فكيف بأحقاب لا انقضاء لها، ولا انقطاع، نعوذ بالله من ذلك.

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه هناد بن السري في الزهد (١/ ١٥٩/ رقم ٢١٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٣٠/ ١١)، والبزار (٣/ ٧٨/ ٢٢٧٨ ـ كشف) من طريق عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة موقوفًا، وسنده حسن، وعزاه السيوطي كما في الدر (٨/ ٣٩٤) لهناد وابن المنذر وابن أبي حاتم، وقد صح عن عليّ رضي الله عنه، وابن مسعود رضي الله عنه، تفسير: «الحقب» ثمانون سنة.
أما أثر علي رضي الله عنه، فأخرجه هناد في الزهد (١/ ١٦٠/ ٢٢٠)، وابن المبارك (ص٩٠ في زيادات نعيم)، والطبري (٣٠/ ١١) جميعهم من طريق سفيان الثوري عن عمار بن معاوية الرهني، عن سالم بن أبي الجعد، عن علي رضي الله عنه موقوفًا، وسنده حسن.
وعزاه في الدر (٨/ ٣٩٥) إلى عبد الرزاق والفريابي وهناد وعبد بن حميد، وابن جرير وابن المنذر.
أما أثر ابن مسعود رضي الله عنه، فأخرجه الحاكم (٢/ ٥١٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي وقال: صحيح. اهـ، وعزاه في الدر المنثور (٨/ ٣٩٥) إلى سعيد بن منصور والحاكم، وانظر: تفسير «الأحقاب» في الدر المنثور (٨/ ٣٩٤ ـ ٣٩٦).



أدلتهم العقلية من وجوه والرد عليها

وأما ما احتجوا به لهم بالمعقول:

فالوجه الأول:

وهو قولهم: إن مقابلة الجرم المتناهي بعقابِ ما لا نهاية له، ظلم، وهو على الله محال[1].

فهذا مبني على التحسين والتقبيح العقلي، ونحن معشر أهل السنة لا نقول به؛ لأن الشرع هو الذي يحسن ويقبح.

وأيضًا: فالله سبحانه وتعالى يفعل في خلقه ما يشاء؛ لأنه تعالى: لا حجر عليه فيما يفعله، فأفعاله بالنسبة إليه كلها حسنة جميلة، وإنما يكون الشيء قبيحًا بالنسبة إلينا، وأيضًا: [فلا نسلّم أن معصية الكافر متناهية، بل غير متناهية، إذ بموته على الكفر لازم له أبدًا، فتأمل][1].

وأما الوجه الثاني:

وهو قولهم: لا يحصل بعذاب أهل النار نفع لأهل الجنة؛ لأنهم مشغولون بلذاتهم، فَلِمَ يعود النفع لأهل الجنة، ويحصل لهم الالتذاذ بعذاب الذين يعاندونهم، ويعادونهم في دار الدنيا ويسفكون دماءهم على دين الله تعالى الذي أدخلهم جنات النعيم وأدخل أعداءهم دار الجحيم؟

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٥٢)، ودرء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٨، و٣٠٤-٣٠٥)، و(٣/ ١٥٧-١٥٨)، ومنهاج السنة (١/ ٣٤-٣٦ ط بولاق)، وتفسير الرازي، ومنه نقل المصنف بنصه وفصّه! (١٨/ ٥١-٥٢).

قلت: هذا مسلّم فيمن حصل منه سفك دم للمسلمين، وأما غيره فما جرمه؟

قلت: قد حصلت منه المعاندة لنا، حيث دُعي للإسلام فأبى، ورد قولنا الحق، والمعاندة توجب التشفي.

فثبت بهذه الأجوبة عن تشبههم أن جميع ما استدلوا به غير مُعينٍ لهم، مع ما ورد من الأحاديث الصحيحة والآيات الصريحة.

قلت: ومن أصرح الآيات في الرد عليهم قول الله تعالى في حق أهل النار: ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا** ﴾ [البينة: ٨]؛ فإن الأبد: عبارة عن استغراق المستقبل الذي لا انقطاع له، فتأمل[١].

الأدلة من السنة على بقاء النار:

وأما الأحاديث فهي كثيرة في كتب الأئمة، وسنذكر شيئًا منها:

روى الإمام الطبراني وأبو نعيم وابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو قيل لأهل النار: إنكم ماكثون في النار بعدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا بها، ولو قيل لأهل الجنة: إنكم ماكثون عدد كل حصاة لحزنوا، ولكن جعل لهم الأبد**»[٢].

---

(١) وقد نقل الرازي هذا الوجه والرد عليه في تفسيره أيضًا (١٨/ ٥١ ط دار الكتب العلمية).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٠/ ٢٢٢/ ١٠٣٨٤)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٦٨)، وابن مردويه كما في الدر المنثور (١/ ٤١) من طريق الحكم بن ظهير عن السدي عن مرة عن ابن مسعود مرفوعًا.
قال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث مرة والسدي تفرد به الحكم بن ظهير. اهـ.
والحديث موضوع، آفته: الحكم بن ظهير، قال عنه البخاري: منكر الحديث، وقال مرة: تركوه و كذبه ابن معين وغيره.

=



وروى الطبراني والحاكم وصححه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعثه إلى اليمن، فلما قدم عليهم قال: «يا أيها الناس، إني رسول رسول الله ﷺ إليكم، وأن المرد إلى الله، إلى جنة أو نار، خلود بلا موت، وإقامة بلا ظعن في أجساد لا تموت»(١).

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**يقال**

= وانظر: التاريخ الكبير (١/ ٣٤٥)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (١/ ٢٥٩/ رقم ٣١٦)، والمجروحين لابن حبان (١/ ٢٥٠)، وابن عدي (٢/ ٦٢٦)، والميزان (١/ ٥٧١/ ٢١٧٨) وغيرها، وقال ابن أبي حاتم كما في العلل (٢/ ٢٢٤/ ٢١٦١): قال أبي: هذا حديث منكر، وهذا الحديث وإن كان فيه متمسك للمصنف إلا أن في الأحاديث الصحيحة غنية عنه.

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٠/ ١٧٥/ ٣٧٥)، والحاكم في مستدركه (١/ ٨٣)، وقال: صحيح الإسناد، وسكت عنه الذهبي، ورواه في الأوسط كما في المجمع (١٠/ ٣٩٦) من طريق عبد الرحمن بن سابط عن معاذ مرفوعًا، وقال الهيثمي: إسناد الكبير جيّد، إلا أنّ ابن سابط لم يدرك معاذاً، وانظر: جامع التحصيل (ص٢٧٠ رقم ٤٢٨)، وتهذيب الكمال (١٧/ ١٢٣/ ٣٨٢٢)، وهو ثقة بالاتفاق.

قلت: وقد بيّنت الواسطة وهو: عمرو بن ميمون الأودي وهو ممن روى عنه مخضرم ثقة مشهور، من رجال الجماعة (٥١٢٢ـ تقريب)، كما عند الحاكم (١/ ٨٣)، إلا أنّ هناك علة تمنع من صحة الإسناد، وهي: مسلم بن خالد الزنجي، الفقيه، إمام أهل مكة ومفتيهم، فهو على إمامته وجلالته ضعيف، وانظر: الميزان (٤/ ١٠٣/ ٨٤٨٥)، والمغني في الضعفاء (٢/ ٦٥٥/ ٦٢٠٦) وغيرها.

والحديث مع ضعف إسناده إلا أنّ له شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحة وستأتي.

فائدة:

ذكر ابن سعد في الطبقات (٥/ ٤٩٩): أن الزنجي إنما هو لقب له، وإلا فكان أبيضَ مشربًا بحمرة فلقّب بالضد. اهـ. وكذا قال الإمام الفرخي كما في «الألقاب» (ص٧٩)، ولم يذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله في «نزهة الألباب في معرفة الألقاب».

لأهل الجنة: خلود ولا موت، ويقال لأهل النار: خلود ولا موت»[(١)] .

وروى الشيخان: البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم: يا أهل النار: لا موت، ويا أهل الجنة: لا موت، كل خالد فيما هو فيه**»[(٢)] .

وروى الشيخان أيضًا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة: لا موت، ويا أهل النار: لا موت؛ فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم**»[(٣)] .

وروى الشيخان أيضًا عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : «**يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت، ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون، ويقولون: نعم، هذا الموت، فيؤمر به فيذبح ثم يقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت فيها، ويا أهل النار خلود ولا موت فيها**، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿**وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ [مريم: ٣٩]، وأشار بيده إلى الدنيا»، وفي لفظ البخاري: «**وهم في غفلة، وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا وهم**

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٣٦٠ـ في الرقاق باب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب).

(٢) أخرجه البخاري (١١/ ٣٦١ـ في الرقاق باب صفة الجنة والنار)، ومسلم (رقم ٢٨٥٠ـ محمد فؤاد).

(٣) أخرجه البخاري (١١/ ٤٢٣/ ٦٥٤٨ ـ باب صفة الجنة والنار)، ومسلم (رقم ٢٨٥٠)، وغيرهما.



لا يؤمنون» أخرجه في التفسير[1] .

قوله: «**فَيشْرَئبُّون**»: بفتح أوله وسكون المعجمة وفتح الراء بعدها تحتانية مهموزة ثم موحدة مشددة: أي يمدون أعناقهم ويرفعون رؤوسهم للنظر.

وروى الحاكم وصححه، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالموت في هيئة كبش أملح فيوقف على الصراط، فيقال: يا أهل الجنة، فيطلعون خائفين وجلين، مخافة أن يخرجوا مما هم فيه، فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت؛ فيقال: يا أهل النار، فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا مما هم فيه، فيقال: أتعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، فيؤمر به فيذبح على الصراط، فيقال للفريقين: خلود فيما تجدون لا موت فيها أبدًا**»[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٤٢٨ ـ تفسير سورة مريم، باب: وأنذرهم يوم الحسرة)، و(١١/ ٤١٥ ـ الرقاق، باب صفة الجنة والنار)، و(١٣/ ٣٨٧ ـ التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة)، ومسلم (٤/ ٢١٨٨ ـ ٢١٨٩ ـ محمد فؤاد)، وأحمد في المسند (٣/ ٩)، وغيرهم.

(٢) رواه الحاكم (١/ ٨٣)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي في تلخيصه، وذكر أن الشيخين اتفقا عليه من حديث أبي سعيد، وابن ماجه (رقم ٤٣٢٧)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٨٦/ ٧٤٥٠)، وهناد في الزهد (١/ ١٥٧/ ٢١٢)، والمروزي في زوائد الزهد (رقم ١٥٣٣) عن محمد بن عمرو ثنا أبو سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا.
وقال البوصيري كما في الزوائد (٣/ ٣٢٣/ ١٥٤٨): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، روى البخاري في صحيحه طرفًا منه، من حديث أبي هريرة، وله شاهد في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. اهـ.
وله عن أبي هريرة عدة طرق غير ما تقدم:
٢ ـ فقد جاء من طريق حماد بن سلمة عن عاصم ابن أبي النجود عن أبي صالح عنه.
وأخرجه أحمد (٢/ ٤٢٣)، والدارمي (٢/ ٣٣٦/ ٢٨١٤ ـ عبد الله هاشم)، والآجري =

وروى أبو يعلى والبزار والطبراني بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا، فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، إنه الموت، فيذبح كما تذبح الشاة، فيأمن هؤلاء فينقطع رجاء هؤلاء»**[1].

= في الشريعة (ص٤٠١)، وهذا إسناد حسن من أجل عاصم، ومع ذلك لم ينفرد به، فقد تابعه الأعمش سليمان بن مهران، كما عند ابن جرير في تفسيره (١٦/ ٨٨)، والحسن ابن عرفة، وذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (٥/ ٢٢٧)، ولم أجد ذلك في جزئه المطبوع!، وعليه فالحديث صحيح.
٣ ـ وعن العلاء بن عبد الرحمن عبد أبيه عنه مرفوعًا، أخرجه أحمد أيضًا (٢/ ٣٦٨)، والترمذي (٧/ ٢٣٤/ ٢٥٦٠ ـ صفة الجنة، باب ما جاء في خلود أهل الجنة والنار ـ تحقيق الدعاس) وقال الترمذي: حسن صحيح.
٤ ـ وعن أبي الزناد عن الأعرج به، أخرجه البخاري (٧/ ١٩٩ ـ في الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب، مختصرًا)، وأحمد (٢/ ٣٤٤، ٣٧٨)، وابن حبان (١٦/ ٤٨٥/ ٧٤٤٩).

(١) أبو يعلى (٥/ ٢٧٨/ ٢٨٩٨)، والبزار (٤/ ٢١٣/ ٣٥٥٧ ـ كشف الأستار)، و(٢/ ٤٧٩/ ٢٢٥١ ـ مختصر الزوائد للحافظ ابن حجر)، و(الطبراني في الأوسط ـ مجمع البحرين ٨/ ١٤٤/ ٤٨٥٨)، جميعهم من طريق: نافع بن خالد الطاحي ثنا نوح بن قيس عن أخيه خالد بن قيس عن قتادة عن أنس مرفوعًا.
وقال الهيثمي كما في المجمع (١٠/ ٣٩٥) بعد عزوه إلى أبي يعلى والأوسط: ورجالهم رجال الصحيح، غير نافع بن خالد وهو ثقة. اهـ.
قلت: ونافع هذا ذكره ابن حبان في الثقات (٩/ ٢١٠)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٨/ ٤٥٧/ ٢٠٩١) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً، وعليه: فالحديث ضعيف الإسناد.
وله شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحة، وقد مرّ ذكرها آنفًا ولعلّ تصحيح الحافظ ابن حجر له كما في مختصر زوائد البزار (٢/ ٤٧٩/ ٢٢٥١) لطرقه.



فثبت بما قررناه من الآيات الصريحة، والأحاديث الصحيحة: أن كلاً من أهل الدارين خالد أبدًا فيما هو فيه من نعيم أوعذاب، وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة، واتفاقهم على أن عذاب الكفار لا ينقطع، كما أنّ نعيم أهل الجنة لا ينقطع، يدل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

فائدة:

ذكر بعضهم أن الذي يتولى ذبح الموت جبريل عليه السلام، وقيل: يحيى بن زكريا عليهم السلام[1].

تنبيه:

ذهب جمع كثير إلى أن الموت معنىً وعرض، والأعراض لا تنقلب أجسامًا؛ بل قال بعضهم: إن الموت عدم محض، وبه قال الزمخشري، وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢] بأن معنى الخلق في هذه الآية: التقدير.

فإن قلت: فعلى هذا كيف يأتي الموت في صورة كبش فيذبح؟ قلنا: نقل الحكيم الترمذي أن مذهب السلف في هذا الحديث الوقوف عن الخوض في معناه، فنؤمن به ونكل علمه إلى الله تعالى.

وأجاب بعض العلماء فقال: لعل هذا الكبش صورة ملك[2] من الملائكة

---

(١) وهذا لا دليل عليه، بل هو من العلم الذي لا ينفع، والجهل الذي لا يضر، وانظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٣٥).

(٢) وهذا تفريع في أمرٍ عقدي لا دليل عليه، والأولى الكف عن هذه التأويلات والوقوف مع النص.

الذين يقبضون أرواح الخلائق، وإلا فالموت في نفسه عدم محض راجع إلى سلب الحياة، أو هو استعارة وكناية عن الخلود الدايم؛ فضرب المثل بالموت، ولا موت هناك حقيقة.

وذهب جماعة إلى أن الموت جسم لا عرض، وأنه مخلوق في صورة كبش، و الحياة في صورة فرس[١].

قال الأشعري: الموت أمرٌ وجودي لقوله تعالى: ﴿**خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ**﴾ والعدم لا يخلق.

قال بعضهم: وعلى قوله، فهل هو جوهرٌ أو عرض، تردد بعضهم. انتهى.

والظاهر: أنه جسم، لحديث الصحيحين السابق «**فيذبح**»، زاد أبو يعلى وغيره: «**كما تذبح الشاة**»، والعرض لا يذبح، وعلى هذا المذهب لا إشكال في الحديث، والله سبحانه وتعالى أعلم.



(١) وهذا أيضًا تحكّم بلا دليل، وقول بلا برهان.



خاتمة

قال النسفي[١] في «بحر الكلام»: سأل قوم: هل يعلم الله عدد أنفاس أهل الجنة والنار أم لا؟ فإن قلتم: لا، فقد وصفتم الله بالجهل، وإن قلتم: نعم لزم أن أهل الجنة والنار يفنون؟

قال: والجواب:

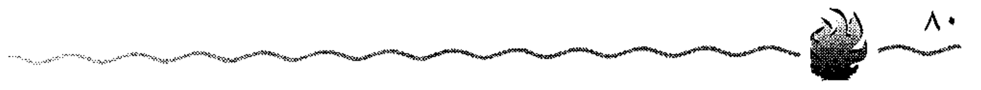
أن نقول: إن الله يعلم أن أنفاس أهل الجنة والنار ليست بمعدودة ولا تنقطع، فإن قيل: إذا قلتم بأنهم لا يفنون فقد سويتم بينهم وبين الله! قلنا: لا؛ لأن الله تعالى قديم بلا ابتداء، آخر بلا انتهاء، وأهل الجنة محدثون، وإنما يبقون ولا يفنون بإبقاء الله إياهم، والله تعالى باقٍ لا ببقاء أحد فلا يكون تسوية بين الخالق[٢] والمخلوق.

والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على رسوله ﷺ وعلى سائر إخوانه من النبيين والمرسلين وعلى صحابته أجمعين.

---

(١) هو ميمون بن محمد بن محمد النسفي أبو المعين (٤١٨ـ٥٠٨هـ) متكلم فقيه، أصولي، كان بسمرقند، ثم سكن بخارى، من تصانيفه: التمهيد لقواعد التوحيد، بحر الكلام، منهاج الأئمة، وغيرها.
الطبقات السنية (رقم ٢٥٧٨)، والجواهر المضية (٣/ ٥٢٧/ ١٧٢٥) وغيرها.

(٢) وهذا الكلام لا طائل من ورائه، والأولى عدم الخوض في مثل هذه الأمور.
انتهى ما أردت التعليق عليه في (٦/ ١/ ١٤١٥هـ) بفضل من الله ونعمة، وسبحان الله =



قال مؤلفه الفقير مرعي - رحمه الله -: فرغت من هذه الرسالة نهار الأربعاء بالجامع الأزهر في أواسط ذي القعدة سنة (١٠٣٣هـ). تمت.

❁ ❁ ❁

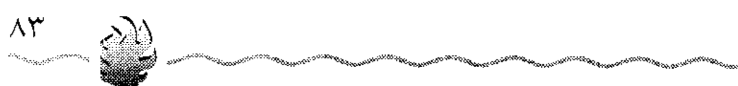
= وبحمده، سبحان الله العظيم.

وكتبه: حامدًا لله مصليًا على رسوله ﷺ.

خليل الجبور السبيعي

فهرس الموضوعات









تنبيه: لم أجعل ثبتًا للمراجع لإثباتي إياها في الأصل، وما كان مشهوراً فلا حاجة للتكرار.